لماذا التوحيد ..

— ٥ —

للأستاذ محمد عبد المجيد الشافعى

الرئيس العام للجماعة

ورئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

(إنا نزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)

والشريعة الإسلامية هى التى جعلت عمر بن الخطاب يسوى بين ملك من ملوك غسان وبين واحد من عامة المسلمين — حين أسلم جبلة بن الأيهم آخر ملوك بنى غسان وفرح المسلمون بإسلامه وقدومه لحضور موسم الحج مع عمر رضى الله عنه فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطىء على إزاره رجل من فزاره واستحله ، فالتفت إليه جبله مغضباً فلطمه فهشم أنفه . فشكى الفزارى إلى عمر بن الخطاب فقال عمر لجبلة ما دعاك أن تلطم أخاك فقال إنه وطىء إزارى ولولا حرمة هذا البيت لأخذت الذى عليه عيناه — يعنى رأسه — فقال عمر رضى الله عنه أما أنت فقد أقررت فإما أن ترضيه وإما أن أقيده منك — قال جبلة أتقيد منى وهو رجل سوقة — قال عمر قد شملك وإياه الإسلام فما تفضله إلا بالعافية قال : قد رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية — قال عمر هو ذاك — يعنى لابد من القصاص — قال إذن أتنصر — قال له عمر إن تنصرت ضربت عنقك — قال جبلة أنظرنى إلى غد يا أمير المؤمنين — قال له عمر ذلك إليك ففر فى ليلته مع أصحابه إلى القسطنطينية .

وهكذا الشريعة الإسلامية التى تضرب أروع الأمثلة وأعلاها وأسماها فى العدل فلا فرق بين عربى ولا أعجمى ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى كما يقول الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وهكذا تبدو الشريعة الإسلامية أنها تبنى أعظم الحضارات وتقيم أكرم

الأمم على أسس من العدل والمساواة المطلقة بين الأفراد وقد وضعت التعصب للجنس تحت أقدامها منذ ثلاثة عشر قرناً بينما ترى أمريكا المتحضرة وجنوب أفريقيا المتمدنة تتردیان فی ردغة الخبال غير عابئة بعدل ولا مصغية لضمير .

والتوحيد يلزم المسلم حاكما ومحكوماً أن يتحاكم إلى الكتاب والسنة لأنهما مناط العدل ولأن التحاكم إلى غيرهما تحاكم إلى الطاغوت والتحاكم إلى الطاغوت شرك بالله والله يقول (إن الشرك لظلم عظيم)[1].

فكيف بالذى يدع حكم الله إلى حكم الإنسان ـ والقرآن يقرع سمعه بما جاء فی صدر سورة المائدة من قول الله تعالى (. . إن الله يحكم ما يريد) .

كما يندد فی سورة النساء بأولئك الذين يتحاكمون إلى غير كتاب الله وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجهم من عداد المؤمنين ويعتبرهم أدعياء وكاذبين فيقول سبحانه (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً) بل ويعتبر هؤلاء من المنافقين والمنافقون هم الذين يظهرون مالا يبطنون وكأنما يريد القرآن الكريم أن يحذرنا منهم لأنهم يظهرون الاسلام ويخفون فی أنفسهم الكفران والعصيان فيقول معقباً :

(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)

منافقون إذن أولئك الذين يدعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ليحكم بينهم فيعرضون ـ ذلك أنهم واحد من ثلاثة :

١ ـ مريض بقلبه .

٢ ـ أو مرتاب فی ربه .

٣ ـ او رجل يخاف من الله ظلماً ويخشى منه هضماً ، فهو يطعن فی صفة من صفاته وهی العدل ـ ويفضح الله هؤلاء فی قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله[2] وبالرسول

---

(١) لقمان . (٢) النور .

وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين - وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون - وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين .

أفى قلوبهم مرض

أم إرتابوا

أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) .

والحكم بغير ماأنزل الله اتباع للكافرين والمنافقين واتباع الكافرين والمافقين طاعة لهم وطاعتهم أمر قد حذر الله منه حيث بدأ سورة الأحزاب بقوله سبحانه (يأيها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حليما . واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً) .

والتقوى باب الحكمة وسبيل الرشد وطريق السداد فكأن الخير والبر فى عدم طاعة الكافرين وإتباع المنافقين والشر كل الشر فى طاعتهم والسير على نهجهم والأخذ بقوانينهم.

والقرآن الكريم لم ينزل لتتخذ منه حلية توضع على صدور الغانيات ولاحجابا نعلقه فى المصانع والمحلات ليجلب البركة ويمنع النقمة ، ولا كذلك ان نربطه على جسوم أبنائنا فيحميهم من الحسد أو ليشفيهم من المرض ولا ليبيعه قراء القرآن على قبور للموتى وكأنه صكوك الغفران ولا لنقرأه فى المآتم رحمة على موتانا ولا لنتلوه فى المساجد حربا على أعدانا ولا لنسمعه فى سهراتنا من السادة القرائين غناء ونغما وألحاناً .

إنما القرآن هو الدستور الشامل الهادى إلى الفضيلة والداعى إلى الكمال الإنسانى الذى يتمثل فى العدل كما قال الله عز وجل (لقد[1] أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . .)

العدل إذن هو الهدف الأسمى من نزول القرآن الكريم والعدل هو الطريق إلى السلام . والسلام هو أنشودة الدول وأغنية الأمم التى تطرب لها القلوب وتسكن بها النفوس .

ولذلك جاء القرآن الكريم يدعو أهله والمؤمنين به إلى القوة ويحض عليها لتحمى ذمار العدل .

---

(١) الحديد .

وجاء يدعو إلى إخضاع الدنيا وحكم العالم وقيادة الشعوب وريادة الأمم ليس لاهانة الضعيف وتكريم القوى ولا لتحقير الفقير وتعظيم الغنى ولكن ليعلو بالضعيف ويكرم المهين ويحرر العبيد ويعتق الرقيق ويسوى بين الناس إلا بالعافية كما قال عمر بن الخطاب لجبلة بن الأيهم .

وكما يقول أبو بكر فى تلك الكلمات التى لاتزال تدوى ليعلم حكام الأرض كيف كان الإسلام دائما فى نصرة الحق ونشر لواء العدل حيث قال — «القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى حتى آخذ حقه له »

القرآن إذن جاء ليبث فى النفوس زكاتها وفى القلوب الطهر والعفة ليحقق الإنسانية فضائلها تماما كما تأتى الشمس بأنوارها فتوقظ الحياة لتحقق أعمالها .

القرآن إذن جاء بالشريعة التى تؤكد سيادة الفضيلة وتعلها بعكس شرائع الأرض التى تحقق سعادة الطبيعة وتحكمها .

وهو — أى القرآن — إذن يعمد بكل الوسائل إلى إقامة العدل يتخذ من خشية الله عز وجل لدى الإنسان وازعاً من ضميره يوقظه إذا سهى وينبهه إذا غفل ويهديه إذا ضل ويذكره إذا نسى . فمن أى عطفيه التفت هذا الإنسان وجد ملكين عن يمينه وعن شماله يكتبان أعماله خيرها وشرها فهو كالمتهم المستريب فى نفسه يخشى منها ويدقق فى حسابها لأنه أيقن أنه لايمشى خطوة إلا بين مخبرين يحصيان عليه خطرات النفس ويجمعان منه نزوات الفكر ويترجمان عنه معانى النظر — كما يقول ربنا (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . . .) .

فإذا قامت هذه الرقابة الملائكية واستقر أمرها فى النفس المؤمنة قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الإرادة المميزة تريد الحسنات وتعمل لها وتكره السيئات وتتحرز منها .

وإذا بالفضائل الإنسانية تنهض بإزاء الشهوات الحيوانية فتحكم الرقابة عليها وتشدد الحراسة من حولها وإذا بمعانى الفضيلة والأخلاق الفاضلة هى صاحبة السيطرة فى هذه الحياة .

وسياج معانى الفضيلة والأخلاق الطيبة هو العقيدة التى ترشدك أن الله الواحد هو الملك وهو الحكم وهو العدل هو وحده الذى بيده صلاح الأمر وأنه يحكم مايريد .

ومايريد إلا الخير فلا عدل إلا فى حكمه ولا خير إلا فى أمره .

ولهذا جاء القرآن أول ماجاء يخضع حياة الانسان للعقيدة ثم تتولى العقيدة الصحيحة المؤمنة بالله الواحد. تتولى العلو بالحياة فوق الحاجة والسمو بها فوق الشهوة فيكون الحاكم قويا ولا يظلم ويكون القوى قادراً ولا يبطش ويكون الفقير معدما ويتعفف ، ويكون الغنى موسراً ويتصدق ، ويكون الشره طامعا ويمسك ، ويكون الشهوراغبا ويحجم ، رغبة ورهبة من الله الواحد الذى بيده وحده مقاليد الأمور .

إلا إن الانسانية اليوم تعيش فى ليل موحش ومظلم ، وقد طال هذا الليل واشتد فيه عواء الذئاب ونباح الكلاب — والخطر كل الخطر من هذه الذئاب المنهومة والكلاب المسعورة التى سعرت طباعها الشهوات والنزوات فمتى يكون النهار .

لانسأل عن النهار الكونى ولكن عن النهار الذى يضىء نفس الانسان ويمد قلبه بالنور وعقله بالحكمة والذى هو الشريعة الاسلامية التى هى قصة الهداية الانسانية فى نور من السكلام .

هى النور إذن وإذا جاء النور تبدد الظلام .... (يتبع)

دعوتنا . . . وأولياء الله . . . .

نحن نؤمن بقوله سبحانه (يونس : ٦٢/٦٣ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . الذين آمنوا ، وكانوا يتقون) فمن والى الله ورسوله فنحن معه حباً وتأييداً ، وانتصاراً له فى كل معركة ، غير أننا نحارب من يعبد الأولياء من دون الله ، نحارب من يزعم أن الأولياء بيدهم الأمر والحل والعقد والتصريف ، والله يقول لخاتم النبيين (آل عمران : ١٢٨ ليس لك من الأمر شىء) ويأمره بأن يقول : (قل ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) .

(الجن : ٢٠ ـ ٢٢ قل : إنما أدعو ربى ، ولا أشرك به أحداً ، قل : إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشداً ، قل : إنى لن يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً) .

والى هذا الهدى ندعو الناس ، فهو نجاة وحياة وكرامة وعزة وخلود .

فضل الجهاد والمجاهدين

لسماحة الشيخ الجليل عبد العزيز بن باز
رئيس الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الحمد لله الذى أمر بالجهاد فى سبيله ، ووعد عليه الأجر العظيم والنصر المبين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل فى كتابه الكريم :(وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله أفضل المجاهدين وأصدق المناضلين وأنصح العباد أجمعين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الكرام الذين باعوا نفوسهم لله ، وجاهدوا فى سبيله حتى أظهر الله بهم الدين وأعزبهم المؤمنين ، وأذل بهم الكافرين ، رضى الله عنهم وأكرم مثواهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الجهاد فى سبيل الله من أفضل القربات ، ومن أعظم الطاعات ، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون ، وتنافس فيه المتنافسون ـ بعد الفرائض ـ ، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين ، وقمع الكافرين والمنافقين وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين ، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور ، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين ، وغير ذلك من المصالح الكثيرة ، والعواقب الحميدة للمسلمين ، وقد ورد فى فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مايحفز الهمم العالية ، ويحرك كوامن النفوس إلى المشاركة فى هذا السبيل ، والصدق فى جهاد أعداء رب العالمين ، وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفى سقط عن الباقين ، وقد يكون فى بعض الأحيان من الفرائض العينية التى لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعى كما لو إستنفره الإمام أو حصر بلده العدو أو كان حاضراً بين الصفين ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة ، ومما ورد فى فضل الجهاد ، والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ، عفى الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم

الكاذبين ، لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » .

فى هذه الآيات الكريمات يأمر الله عباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافاً وثقالا ـ أى شيباً وشباناً ـ وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل أن ذلك خير لهم فى الدنيا والآخرة ، ثم يبين سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل : (لوكان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة) الآية ، ثم يعاتب نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عتاباً لطيفاً على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه : (عفى الله عنك لم أذنت لهم) ، ويبين عز وجل أن فى عدم الإذن لهم تبين الصادقين وفضيحة الكاذبين ، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لايستأذن فى ترك الجهاد بغير عذر شرعى لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ، ويحفزه إلى المبادرة إلى الجهاد ، والتنفير مع أهله ، ثم يذكر سبحانه أن الذى يستأذن فى ترك الجهاد هو عادم الإيمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى ذلك أعظم حث ، وأبلغ تحريض على الجهاد فى سبيل الله ، والتنفير من التخلف عنه ، وقال تعالى فى فضل المجاهدين : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

فى هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم فى الجهاد فى سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله على الله عز وجل وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمن أهله الجنة وأنهم يقاتلون فى سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك فى أشرف كتبه وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم بين سبحانه أنه لاأحد أوفى بعهده من الله ليطمئن المؤمنون إلى وعد ربهم ويبذلوا السلعة التى إشتراها منهم وهى نفوسهم ، وأموالهم فى سبيله سبحانه عن إخلاص وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا أجرهم كاملا فى الدنيا والآخرة ، ثم يأمر سبحانه المؤمنين أن يستبشروا بهذا البيع لما فيه من الفوز العظيم والعاقبة الحميدة والنصر للحق والتأييد لأهله ، وجهاد الكفار والمنافقين وإذلا لهم ونصر أوليائه عليهم وإفساح الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية فى أرجاء المعمورة ، وقال عز وجل

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) .

ففي هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة ، ففي ذلك أعظم ترغيب وأكمل تشويق إلى الإيمان والجهاد ، ومن المعلوم أن الإيمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة له سبحانه ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم ، ويدخل في ذلك الجهاد في سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الإسلامية ومن أهم الفرائض ، ولكنه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه ، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التي سبق بيان الكثير منها ، ثم ذكر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة في دار الكرامة ليعظم شوقهم إلى الجهاد ، وتشتد رغبتهم فيه ، وليسابقوا إليه ويسارعوا في مشاركة القائمين به ، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئاً معجلا يحبونه وهو النصر على الأعداء والفتح القريب على المؤمنين ، وفي ذلك غاية التشويق والترغيب .

والآيات في فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جداً ، وفيما ذكر سبحانه في هذه الآيات التي سلف ذكرها ما يكفي ويشفي ويحفز الهمم ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة ، والله المستعان .

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين ، والتحذير من تركه والإعراض عنه فهي أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ولكن نذكر منها طرفاً يسيراً ليعلم المجاهد الصادق شيئاً مما قاله نبيه ورسوله الكريم - عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم - في فضل الجهاد ومنزلة أهله ، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مثل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة) خرجه مسلم فى صحيحه ، وفى لفظ له : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » وعن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك » متفق عليه ، وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « جاهدوا المشركين باموالكم وأنفسكم وألسنتكم » رواه أحمد والنسائى وصححه الحاكم ، وفى الصحيحين عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل أى العمل فضل ، قال : « إيمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ، قال : « الجهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » متفق على صحته ، وعن أبى عبس بن جبر الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار) رواه البخارى فى صحيحه ، وفيه ايضاً عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق » ، وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه شىء حتى ترجعوا الى دينكم » رواه أحمد وأبو داود وصححه ابن القطان ، وقال الحافظ فى البلوغ : رجاله ثقات ، والأحاديث فى فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية ، والثواب الجزيل ، وفى الترهيب من ترك الجهاد والإعراض عنه كثيرة جداً ، وفى الحديثين الأخيرين ، وما جاء فى معناها الدلالة على أن الإعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق ، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع ، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمر الله والجهاد فى سبيله ، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعاً بالرجوع إلى دينه وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ، ويوفقهم جميعاً للفقه فى الدين والجهاد فى سبيل رب العالمين ، حتى يعزهم ويرفع عنهم الذل ، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

الدعوة إلى الجهاد
فى القرآن والسنة

لسماحة الأستاذ الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد

وكانوا يخاطرون بأنفسهم ويأتون بأعاجيب وأعمال خارقة للعادة ، ثقة بنصر الله واعتماداً على موعود كما حصل للجيوش الإسلامية بقيادة سعد بن أبى وقاص ، فقد وقف أمام المدائن ولم يجد شيئا من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ورمت بالزبد من كثرة الماء بها . .

فخطب سعد الناس على الشاطىء وقال : إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ؟ فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . . ، ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد فساووا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملأوا مابين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض . . فلما رآهم الفرس قالوا : (ديوانه — ديوانه) يقولون : (مجانين ـ مجانين) ثم قالوا : والله ماتقاتلون إنساً بل تقاتلون جنا وجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه إن لم يكن فى الجيش بغى أوذنوب تغلب الحسنات . .

(خطاب عمر بن الخطاب للقائد سعد بن أبى وقاص)

نعم كانوا يتخوفون من ذنوبهم ومن معاصى الله أكثر مما يتخوفون من عدوهم ومن كثرة عدده وضخامة عدده فنجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : فى كتابه لقائده سعد بن أبى وقاص لما أرسله إلى فتح فارس . . . .

(أما بعد) : فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل من العدة على العدو وأقوى للكيدة على الحرب . . وآمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجند أخوف عليهم من عدوهم . . وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولاعدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة وإلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . . فاعلموا أن عليكم فى سيركم

حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعلموا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا . . فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما شملوا بمعاصي الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . . واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم .. أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .. (ا ـ هـ) .

فتمسك المسلمون المجاهدون بما ذكر هذا الخليفة الراشد ، وكانوا كما وصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم ـ (فقال جئتك من عند رجال وقاق يركبون خيولا عتاقا أما الليل فرهبان وأما النهار ففرسان .. لو حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر .. قال : فالتفت إلى أصحابه وقال . أتاكم منهم مالا طاقة لكم به ...)

وهذا عقبة بن نافع ـ أراد أن يتخذ مدينة في أفريقية يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد فقصد موقع القيروان .. وكانت موحلة مشتبكة بها من أنواع الحيوان من السباع والحيات .. وغير ذلك : . فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى . (أيتها الحيات والسباع : إنا أصحاب رسول الله ﷺ ارحلوا عنا فإنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه ، فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب والحيات تحمل أولادها وتنتقل .. ورآه قبيل كثير من البربر .. فأسلموا) وحينما طال على المسلمين الأمد وقست قلوبهم ونسوا وتناسوا ما لأجله بعثهم الله على كثرة من الناس وتوافر من بين أمم الأرض وهو قوله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..)

وصاروا يعيشون حياة لاهية دنيئة حياة من لا يعرف نبياً ولا يؤمن برسالة ووحي ، ولا يرجو حسابا ولا يخشى معاداً وأشبهوا الأمم الجاهلية التي خرجوا يقاتلونها بالأمس عادوا فقلدوها في مدنيتها واجتماعها وسياستها وأخلاقها ومناهج حياتها .. وفي كثير مما مقتها الله لأجله وخذلها وابتلى المسلمون بتأثير الحضارة الغربية والدعايات الشرقية أصبحت بلادهم مالا سائبا لا مانع له .. وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس وطعمة لكل آكل .. وظهر معنى قول النبي (ص) : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء

السيل .. وليزعن الله من عدوكم المهابة منكم .. وليقذفن فى قلوبكم الوهن .. قال قائل: يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ..

ويقول الرسول الكريم (ص) : إذا تبايعتم بالعينة وأتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد فى سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا الى دينكم ..

فهم تركوا الجهاد وطلبوا المدد من الأعداء والحماية من الكفار والتكفف لديهم والالتجاء فى مواقع الخطر إليهم ، فهانوا إذاً على الله مع أعمالهم الاسلامية ورغم وجود الصالحين فيهم وظهور بعض الشعائر الدينية والواجبات الشرعية فى بلادهم .

يقول بعض المستشرقين: لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه وأحكامه وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال ففشا فيهم فساد الأخلاق فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض فتفرقت كلمتهم ، وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وماينفعهم، وعشوا بجهالة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم فى فضله . . .

وهذا واقع مشاهد يحسه كل موقن ويلمسه كل غيور فى كل أمة تخلت عن الجهاد وانغمست فى الترف ، وعبادة المادة وحب الدنيا ..

يحدثنا التاريخ : ماذا فعل بالمسلمين (أشقى الأمم المغول والتتار) مايحزن القلب ويحزن الفؤاد ويبكى العين . . .

يقول ابن الأثير : تهجبت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها فانا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين . . ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فيالليت أمى لم تلدنى .. ويالليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ..

هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين . . .

ثم ذكر من وهن المسلمين وتسلط أعدائهم عليهم .. فقال: دخلت امرأة من التتر داراً وقتلت جماعة من أهلها وهم يخشونها وحدها .. ودخل واحد منهم حرباً فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يمد أحد يده إليه بسوء ووضعت الذلة على الناس .. فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيراً نعوذ بالله من الخذلان ..

وحكى أن أحدهم أخذ رجلا ولم يجد ما يقتله به فقال له : ضع رأسك على هذا الحجر ولا تبرح .... فوضع رأسه وبقى إلى أن أتى المشترى بسيف وقتله .. قال وأمثال ذلك كثير ..

فالواجب على أهل الإسلام خصوصا العلماء منهم وولاة الأمور أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم وأن يبثوا الدعوة لهذا الدين وينشروا محاسنه لنشئهم ليرغبوهم فيه ويرشدوا الأمة لأحكامه وحكمه كما فعل أوائلهم الأماجد .. فانهم جاهدوا فى الله حق جهاده وقاموا بالدعوة إلى الله فبينوا للأمم محاسن الإسلام وسماحته .. وبذلك امتد سلطانهم واتسعت ممالكهم وأخضعوا من سواهم لتعاليمه .. ولكن مالبث أبناؤهم أن حرفوا فانحرفوا وتمزقوا بعدما اجتمعوا واشتبه الحق عليهم بالباطل فتفرقت بهم السبل وأصبحوا شيعا متفرقين فى آرائهم متباينين فى مقاصدهم .. وكيف يحصل لهم الرقى؟ وأنى يتسنى لهم التقدم وهم يقلدون الأمم الكافرة .. يجرون وراءهم وينهجون نهجهم ، ويقلدونهم فى الصغير والكبير والنقير والقطمير .. يحكمون بين شعوبهم بقوانين وضعية ، ويصادمون الشريعة الاسلامية التى هى مصدر عزهم وفخرهم وفيها راحتهم وطمأنينتهم ..

(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) ..

نسأل الله أن ينصر دينه ويعلى كلمته ويوفق جميع المسلمين إلى مافيه رضاه . . :

من أخبار الجماعة :

قام فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بالسنبلاوين بطبع نشرة بعنوان (هذا بلاغ للناس - ولينصرن الله من ينصره) وذلك بمناسبة المعركة وقد تم توزيعها على نطاق واسع ونالت إعجاب وتقدير الجميع وأدت دورها فى التوعية . كما قام السيد / الأستاذ أحمد منيب رئيس مجلس مدينة السنبلاوين بزيارة مسجد التوحيد والتقى برجال أنصار السنة وألقى كلمة وأوصى فيها على الاستمساك بالقرآن والسنة ومحاربة الالحاد والبدع وأعجب بهذا التجمع الدينى وحياه . كما تحدث فى هذه الزيارة الأستاذ عمر شحاته رئيس العلاقات العامة على دور الدين فى خدمة المعركة . وقد وعد الأستاذ رئيس مجلس المدينة بمساعدة الجماعة .

حقيقة وشريعة . .

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ
محمد الغزالى
مدير عام إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف

جلست يوما أختم الصلاة وأردد الألفاظ المأثورة ، متدبرا ما تدل عليه من تسبيح وتحميد وتكبير ، بيد أن الشيطان سرق فكرى دون أن أدرى فإذا أنا أسرح فى إحدى القضايا أستعرض أحداثها وأتتبع مراحلها وأتوجس من نتائجها !!

وغصت فى أعماق القضية العارضة حتى ارتطمت بقاعها ولسانى يحصى آخر الكلمات المأثورة التى تعقب الصلوات المكتوبة ، لتكون ذكرا بعد ذكر ، وتحية بعد تحية !!

وشعرت بتناقض بين حالى ومقالى ، وساءلنى ضميرى : أكنت حقا تذكر ربك ، وتسبحه وتحمده وتكبره ؟

ولم يكن للكذب مجال ، لقد كان فؤادى فى واد آخر ، وإن كان لسانى يردد ماتعوده من كلمات . .

لقد كنت حاضر كغائب ، أو غائبا كحاضر ، وما أستطيع الزعم بأنى فيما همهمت كنت من الذاكرين !!

إن البون بعيد جداً بين الكلمات التى ننطق بها ، وبين معناها للصاحب لها ، المخبوء تحت حروفها . .

لو كانت إدارة الألفاظ على الشفتين تثبت معانيها للفور كما تدير أزرار الكهرباء فتنطلق المسابيح للفور ، لكنا فى حال غير الحال ، ووضع غير الوضع ! ولكن المسافة شاسعة بين الكلمات ودلالتها اللاصقة .

وكم فينا من يغاوات تجرى على أفواههم كلمات جليلة ، فإذا ذهبت نلتمس حقائقها فى نفوس القائلين ، وجدت الفراغ أو وجدت النقيض .

والمؤسف أن أغلب معاملتنا لله يسيل من هذه العين الخئة !!

إن أسوأ ما يعترى الفرائض المكتوبة والعبادات الرتيبة أن يؤديها المكلفون وهم فى شبه غيبوبة ، لا تلاحق عقولهم معانيها ولا تحصل نفوسهم حكمتها . .

ويقول علماء النفس : إن درجات الحس تتفاوت عند مباشرة المرء لشتى الأعمال ، فقد يقع الإحساس فى بؤرة الشعور ، وذلك فى حالات الانتباه الكامل ، وقد يهبط الوعى إلى حاشية الشعور ، عند ملاحظة أمور مألوفة .

وهناك منطقة شبه الشعور التى تصحب القيام بأعمال معتاده ، وأظن بعض الدواب تشارك البشر فى هذه الحالة ، فهى إذا دربت على أشغال معينة أدتها بدقة ـ دون وعى طبعا ـ والتكاليف الدينية يوم تؤدى عن أنها عادت مجردة ، ليس معها الصحو العقلى المطلوب تصيح إلى الأدواء أقرب منها إلى الأدوية ..

بل إن الكفار الصاحين الأيقاظ إذا التقوا فى ميادين الحياة بعباد من هذا النوع المخدر الغافى سرعان ما يسبقونهم سبقا بعيدا ويغلبونهم غلبا أكيدا ..

إن الله شرع الدين موضوعا وشكلا ، معنى ولفظا ، يقظة نفسية وحركة بدنية ، فمن أخذ الظاهر من هذا كله وترك الباطن فهو يعبث بالدين ، ويتخذه لعبا ولهوا . . .

ويحسن أن نفرق هنا بين عدة أحوال ، فإن المؤمن الجاد الصادق عند ما يشرع فى نسك ، يقبل على الله معقود العزم حسن القصد ..

وربما اختلس الشيطان شيئا أو أشياء من عبادته ، فهو يحزن لذلك ويتعلم الحرص والحذر . ومراتب المؤمنين فى مدافعة هذه الغارات لاحصر لها ...

وخيرهم من تنجح مجاهداته فى صيانة عمله جوهرا ومظهرا ، وأعجزهم من استغفله الشيطان فشت لبه فى متاهات ليس لها آخر كلما تقرب إلى الله بعمل . .

ولا بد من استبعاد النيات الملتاثة فى هذا المجال ..

إننى أحيانا أسمع الأغنية الدينية تصف مناسك الحج أو تعرض حياة الرسول . فيمتلىء قلبى بالرقة والضراعة .. ثم أستحضر سيرة المغنى والملحن والعازفين فأحس فجوة رهيبة بين جلال ما يقال وفساد من يقول ..

إن الفرق الماهرة فى أداء هذه الألحان الدينية هى هى التى تستفز الشهوات الساكنة ، وتزين مزالق الشر لألوف من الخلق وتجدد نشاط الأشرار كيما يسترسلوا فى غوايتهم .

ولذلك عندما أسمع مناجاة الله على لسان مغن أو مغنية أسال النفس : أهذا ذكر لله حقا ، أم هى صنعة الكلام والتطريب وحسب ؟؟

ولم التمثيل بالغناء الدينى ؟

هل تتبعت مجالس القرآن التى تحف بنفر من القراء المشهورين ورأيت ما يسود هذه المجالس من صخب وخفة ؟

إن الصياح الطائش الذى يفتعله بعض السامعين يستخف للأسف هؤلاء القراء فتراهم ينسون الكتاب ، ومنزله ، وما ينبغى له من إجلال وتوقير ، ويحولون الآى إلى نغم معجب للجهال يزيدهم ولها على وله !!

ثم ينفض الحفل الماجن دون أن ينشرح بذكر الله صدر أو تدمع لخشيته عين ، أو تنعقد على طاعته إرادة ، ويثوب القارىء والسامعون إلى بيوتهم وهم يخوضون فى غضب الله خوضا !!

إن ما يطلب من الناس ليس شيئا صعب التصور أو عسر المنال ، مطلوب من الإنسان العاقل أن يعى ما يقول ، وأن يعنيه ، وأن يفقه ما يسمع ويستوعبه ، فهل هذا تكليف بما يبهظ الهمم ؟

مطلوب من المصلى إذا وقف بين يدى الله أن يعرف من يناجى ، فإذا قال : الله أكبر ، كان شعوره أنه فى حضرة الكبير المتعال عاصما له من الالتفات إلى غيره ، ومحرما عليه الاشتغال بأمر دونه ، وهذا سر تسمية افتتاح الصلاة بتكبيرة الإحرام .

مطلوب من التالى للوحى أن يفك إغلاق قلبه فإذا نودى سمع ، وإذ بصر رأى ، وإذا استثير نشط ، وقد جاء فى وصف عباد الرحمن « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

العلاقة بالله ـ على الحقيقة لا على التجوز ـ تطلب البعد عن آفتين : التوهم أو الخيال ، والتمثيل أو التصنع ..

الآفة الأولى تجعل المرء يرسل القول على عواهنه ، وقد تخدعه نفسه فيخال الأمنية البعيدة حقيقة ماثلة ، أو يخال الأمل السامى غاية سهلة .

وقوانين الإيمان لاتدع المؤمنين طويلا بإزاء هذه الأوهام ، بل تربيهم بالأحداث تلو الأحداث حتى ينكشف معدن النفس ، فإما ثبت الإنسان عند ما يقول وتحمل تبعاته كاملة ، وإما انهزم وبدا عوراه ، وفى ذلك يقول جل شأنه « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ، ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

والأمل فى الاستشهاد قبل مواجهة العدو شىء عظيم ، وأعظم منه وأدل على صدقه ألا يتبخر الحماس عند اللقاء ، ويتغلب حب الحياة وإيثار السلامة . .

إن الله تبارك اسمه يبغض أصحاب الزعائم العريضة ، فإذا دقت ساعة الجد وجدت الثرثارين خرساً « لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

أما الآفة الأخرى التى تبعد ذويها عن جوهر الدين فهى أخذ العبادات من مراسمها البادية ، وبذل الجهد فى إتقان الظاهر وحده .

ولو عقلنا لأدركنا أن القليل مع صحو الضمائر أفضل من كثير لا روح فيه ، تأمل فى حديث إبراهيم الخليل عن ربه ، إنه حديث ليس فيه كشف لمجهول ، ولا تصوير لمعنى مبتدع ، إنه يتناول أقرب المحسوسات إلينا « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين » .

إن الرجل العامى يجد هذا الكلام قريباً من حسه ، ولكن حقائق هذا الكلام هى التى فاتت العباقرة فزاغوا .

ليس الأمر تزويق عبارات بليغة ، ولا شرح فلسفات عويصة ، الأمر لا يتطلب أكثر من أن يقرأ المسلم فاتحة الكتاب ، فيعى كل كلمة ينطق بها ، ويكون قلبه مرآة نقية لما احتوت من حمد لله ، وثناء عليه ، وتعاهد معه ، وتطلع إلى هداه ونعمته .

هذه هى الحقيقة التى تحدث عنها علماء التصوف ورجال التربية .

لادلالة لهذه الكلمة غير ماقلنا ، أن يلتزم المسلم بشريعته مبنى ومعنى ، أن ينفعل بتعاليمها لياً وقلباً وجسداً ، أن يرقى إلى مستواها فكراً وعاطفة وسلوكا . . .

لا تعريف للحقيقة غير ما أوضحنا فى الكلمات الآنفة . أن يتطابق الفؤاد مع اللسان عند ذكر الله ، وأن تتعانق الروح والجسد عند الانقياد لأمره .

ولبعض الصوفية كلام متهافت يوهم أن الشريعة شىء والحقيقة شىء آخر . . . ! يقول ابن عجيبة فى شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى : « الأعمال عند أهل الفن — يعنى فن التصوف — على ثلاثة أقسام عمل الشريعة ، وعمل الطريقة وعمل الحقيقة أو تقول عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان أو تقول عمل أهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل أهل النهاية ، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده أو تقول

الشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لإصلاح السرائر . . الخ » وهذا كلام مضطرب مدخول يقوم على التلاعب بالألفاظ والعبث بالمفاهيم فإن الشريعة إصلاح الظاهر والباطن معاً ، وهي عبادة ونية وإحسان ، لا ينفك أحد هذه العناصر عن الآخر . .

ويوغل ابن عجيبة — غفر الله له — في خطئه ، فيصور لقرائه أن الكتاب والسنة أقسام ، بعضها يشير إلى الشريعة ، والآخر يشير إلى الحقيقة فيقول : « أشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » مع قوله صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحدكم الجنة بما عمله » والجواب — كما يزعم ابن عجيبة — أن الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة ، أو بين تشريع وتحقيق ، فقد يشرعان في موضع ويحققان في آخر ، وقد يشرع القرآن في موضع ويحقق السنة هذا الأمر في موضع آخر . فقوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله تشريع لأهل القدوة وهم أهل الحقيقة . . . الخ » .

وهذا كلام باطل ، لا ينطوي إلا على الفراغ والدعوى . . وليس في دين الله أهل شريعة وأهل حقيقة . ولا انقسم الوحي الإلهي إلى فريق لهؤلاء ، وفريق لأولئك .

أما الإشكال الذي أوردته فإليك تفسيره . . . .

اتفق أئمة المسلمين على أن العمل لابد منه لدخول الجنة ، وأنه سبب شرعي مطلوب لا يستثنى منه بشر ، ولا يدخل بدونه أحد . وقد تظاهرت الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة جميعاً . . قال تعالى « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » وقال « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقال « وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة . . . » وقال في المستقيمين « أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » الخ .

ولكن المطلوب من العابدين لله أن يتواضعوا له وأن يكبروا حقه وأن يخافوا لقاءه مهما قدموا من صالحات قال تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات) .

ويؤتون ما آتوا ، ليس معناها فعل المعاصي والحذر من عقباها بل معناها فعل

الطاعات والحذر من عدم قبولها ، لأنها دون مايجب لله أو دون مايحسن المرء .

وبهذا المعنى جاء الحديث الشريف فهو نهى عن الاغترار بالعمل وليس نفياً لقيمة العمل ، إنه نهى عن الاطمئنان إلى العمل والاستكبار به والجراءة على الله بعد إتمامه .

وليس نهياً عن التزود بالصالحات والاستكثار منها .

وغريب أن يفهم عوام المسلمين من الحديث الشريف أن العمل لا لزوم له . ففيم إذن نزل القرآن ؟ ولماذا جاهد نبيه ربع قرن لإبلاغه وإقامة الأمة عليه .

الحديث نفى لأن يكون العمل ثمناً حقيقياً للجنة . وليس نفياً لأن يكون سبباً حقيقياً لدخولها . نعم . فإن الخلود الدائم فى نعيم مقيم ليس الثمن المكافىء لعبادة الله سنين عدداً ذاك لو خلت العبادة من شوائب الرفض . فكيف وأكثرنا لو فحص عمله رد فى وجهه ثم كيف لو حوسب الانسان على النعم المغدقة عليه فى الدنيا . وقيل له : عملك نظير بعض هذه النعم .

الحديث ليس مناقضاً للآيات . ولا للأحاديث الأخرى . وإنما هو كما قلنا كسر للغرور البشرى وتذكير برحمة الله وتجاوزه وصفحه .

وعلى ضوء هذا التفسير تعرف أن ما ذكره ابن عجيبة وغيره عما يسمى حقيقة وشريعة لا أصل له فى الاسلام . فدين الله واحد لجميع خلقه ؟

الدين . . .

« الدين » الخضوع والطاعة للديان القاهر ، الحكم الذى يفصل بين الخصوم بعلمه وعدله وحكمته ، ودنت له : أى أطعته ونفذت أمره ، وهذا الأمر دينى : أى هو دأبى وشانى فى كل أمري ، والذى ألتزمه وأتحراه .

ودان نفسه : أى أذلها واستعبدها لمن دان له . ودان القوم : استعبدهم وأنفذ حكمه فيهم ، فدانوهم له ، اى وخضعوا واستسلموا وانقادوا لحكمه .

الحج

بقلم فضيلة الشيخ سيد سابق
مدير عام التدريب
بوزارة الأوقاف

الحج عبادة من العبادات التى قررتها جميع الأديان السماوية

وهو فى الإسلام القصد إلى بيت الله بمكة المكرمه لأداء عبادة الطواف والسعى والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء وجهه الكريم .

وهو أحد الأركان الأساسية فى الإسلام

وهو نوع من السلوك ولون من ألوان التدريب العملى على مجاهدة النفس من أجل الوصول إلى المثل الأعلى . والاندماج فى حياة روحية خالصة تمتلىء فيها القلوب بحب الله وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره مثنية عليه .

بينما يرتدى المرء ملابس الاحرام وهى ملابس خالية من الزينة ومن كل مايثير فى النفس دواعى العجب والخيلاء يقول الله تعالى .

(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولاجدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله) .

تشير هذه الآيه إلى أن المرء حينما يدخل فى إعمال الحج عليه أن يعيش فى جو العفاف والأدب العالى فلا يتدلى إلى رفث ويميل إلى فسوق ولاينطق بكلمة طائشة أو ينظر نظرة فاحشة .

كما تشير أيضاً إلى فعل الخير وهو عمل إيجابى يجعل بكل مؤمن أن يهتم به ويحرص عليه وهو رحلة سياحية لتجميع أكبر عدد ممكن من أفراد الأمة الإسلامية ليشهدوا المنافع التى تعود عليهم بالخير والبركات سواء أكانت منافع روحية أم منافع إقتصادية أم منافع سياسية وأن فيه تعارف الشعوب الإسلامية وتوحيد غاياتهم التى توجههم الوجهة التى تأخذ بأيديهم إلى حياة القوة والعزة والعلم والفضل بما يفيد بعضهم من بعض ومن تبادل الآراء المختلفة والثقافات المتنوعة .

ويمكن عقد معاهدات واتفاقات فى موسم الحج ودراسة الوسائل لتيسير التبادل الاقتصادى والثقافى مما تحتاج اليه هذه البلاد .

ويبدأ أعمال النسك بأن يأخذ من شاربه ويقص شعره وأظافره ويغتسل أو يتوضأ ويتطيب ويلبس لباس الإحرام فإذا بلغ الميقات صلى ركعتين واحرم أى نوى الحج أو نوى الحج والعمرة معاً أو نوى العمرة أولا .

وفى حالة ما إذا انوى الحج وحده يسمى مفردا فإذا نوى الحج والعمرة سمى قارنا فاذا نوى العمرة أولا سمى متمتعا .

وهذا الإحرام ركن لايصح النسك بدونه .

أما تعيين نوع النسك من إفراد أو تمتع أو قران فليس فرضا .

ولو أطلق النية ولم يعين نوعا خاصا صح إحرامه .

وله أن يفعل أحد الأنواع الثلاثة .

وبمجرد الإحرام تشرع له التلبية بصوت مرتفع كلما علا شرفا أو هبط واديا أو لقى ركبا أو أحدا وفى الاسحار وفى دبر كل صلاة .

ولفظ التلبية كما جاءت عن الرسول ﷺ

كما روى مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : إن تلبية رسول الله ﷺ « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة والملك لاشريك لك » .

وعلى المحرم أن يتجنب الجماع ودواعيه ، ومخاصمة الرفاق وغيرهم والجدل فيما لافائدة فيه وإن لايتزوج ولايزوج غيره

ويتجنب أيضا المخيط والحذاء الذى يستر ما فوق الكعبين

ولايستر رأسه ولايمس طيبا ولا يحلق شعرا . ولايقص ظفرا ولا يتعرض لصيد البر مطلقا ولا لشجر الحرم وحشيشه .

فاذا دخل مكة المكرمة فليتجه إلى الكعبة فيدخلها من باب السلام ذاكرا أدعية دخول المسجد ومراعيا آداب الدخول وملتزما الخشوع والتواضع والتلبية .

فاذا وقع بصره على الكعبة رفع يديه وسأل الله من فضله وذكر الدعاء المستحب فى ذلك ويقول فى خضوع وضراعة :

أعوذ بالله العظيم . وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله ، اللهم صلى على محمد وآله وسلم . اللهم اغفرلى ذنوبى . وافتح لى أبواب رحمتك .

فاذا وقع نظره على البيت رفع يديه وقال :

« اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا السلام .

ثم يقصد إلى الحجر الأسود فيقبله بدون صوت ، فإن لم يتمكن استلمه بيد ، وقبلها ، فإن عجز عن ذلك أشار إليه بيده . ثم يقف بمحاذاته ويشرع فى الطواف . ولا يصلى تحية المسجد فإن تحيته الطواف به إلا إذا كانت الصلاة المكتوبة مقامه فيصليها مع الإمام ، وكذلك إذا خاف الوقت يبدأ به فيصليه إذا لم يكن قد صلاه .

ويستحب له أن يضطبع ويرمل في الأشواط الثلاثة الأولى ويمشي على هينته في الأشواط الأربعة الباقية ويسن له استلام الركن اليماني وتقبيل الحجر الأسود في كل شوط . فإذا فرغ من طوافه توجه إلى مقام إبراهيم تاليا قول الله تعالى « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » ، فيصلي ركعتي الطواف ثم يأتي زمزم فيشرب من مائها ويتضلع منه . وبعد ذلك يأتي الملتزم فيدعو الله عز وجل بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ثم يتسلم الحجر ويقبله ويخرج من باب الصفا إلى باب المروة تاليا قول الله تعالى « إن الصفا والمروة من شعائر الله » الآية . ويصعد عليه ويتجه إلى الكعبة .

فيدعو بالدعاء المأثور ثم ينزل فيمشي في السعي ذاكرا داعيا بما شاء .

فإذا بلغ ما بين الميلين هرول ثم يعود ماشيا على رسله حتى يبلغ المروة فيصعد السلم ويتجه إلى الكعبة داعيا ذاكرا . وهذا الشوط الأول .

وعليه أن يفعل ذلك حتى يستكمل سبعة أشواط

وهذا السعي واجب على الأرجح . وعلى تاركه كله أو بعضه دم

فإذا كان المحرم متمتعا حلق رأسه أو قصر . وبهذا تم عمرته ويحل له ما كان محظورا من محرمات الإحرام حتى النساء

أما القارن والمفرد فيبقيان على إحرامهما

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة يحرم المتمتع من منزله ويخرج هو وغيره ممن بقي على إحرامه إلى منى فيبيت بها

فإذا طلعت الشمس ذهب إلى عرفات ونزل عند مسجد نمرة واغتسل وصلى الظهر والعصر جمع تقديم مع الإمام يقصد فيهما الصلاة .

هذا إذا تيسر له أن يصلي مع الإمام . وإلا صلى جمعا وقصرا حسب استطاعته ولا يبدأ الوقوف بعرفة إلا بعد الزوال .

فيقف بعرفة عند الصخرات أو قريبا منها .

فإن هذا موضع وقوف النبي ﷺ

والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم

ولا يسن ولا ينبغي صعود جبل الرحمة

ويستقبل القبلة ويأخذ في الدعاء والذكر والابتهال حتى يدخل الليل .

فإذا دخل الليل أفاض إلى المزدلفة فيصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويبيت بها

فإذا طلع الفجر وقف بالمشعر الحرام وذكر الله كثيراً حتى يسفر الصباح

فينصرف بعد أن يستحضر الجمرات ويعود إلى منى
والوقوف بالمعشر الحرام واجب يلزم بتركه دم
وبعد طلوع الشمس يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات
ثم يذبح هدية إن أمكنه ويحلق شعره أو يقصره
وبالحلق يحل له كل ما كان محرما عليه ماعدا النساء
ثم يعود إلى مكة فيطوف بها طواف الإفاضة وهو طواف الركن
فيطوف كما طاف طواف القدوم
ويسمى هذا الطواف أيضاً طواف الزيارة
وإن كان متمتعا سعى بعد الطواف
وإن كان مفردا أو قارنا وكان قد سعى عند القدوم فلا يلزمه سعى آخر
وبعد هذا الطواف يحل له كل شيء حتى النساء
ثم يعود إلى منى فيبيت بها والمبيت بها واجب يلزم بتركه دم
وإذا زالت الشمس من اليوم الحادى عشر من ذى الحجة رمى الجمرات الثلاث مبتدئا بالجمرة التى تلى منى ثم يرمى الجمرة الوسطى ويقف بعد الرمى داعيا ذاكرا ثم يرمى جمرة العقبة ولا يقف عندها
وينبغى أن يرمى جمرة بسبع حصيات قبل الغروب
ويفعل فى اليوم الثانى عشر مثل ذلك
ثم هو مخير بين أن ينزل إلى مكة قبل غروب اليوم الثانى عشر وبين أن يبيت ويرمى فى اليوم الثالث عشر
ورمى الجمار واجب يجبر تركه بالدم
فإذا عاد إلى مكة وأراد العودة إلى بلاده طاف طواف الوداع
وهذا الطواف واجب
وعلى تاركه أن يعود إلى مكة ليطوف طواف الوداع إن أمكنه الرجوع . ولم يكن قد تجاوز الميقات ، وإلا ذبح شاة . ويؤخذ من كل ما تقدم أن أعمال الحج والعمرة هى الإحرام من الميقات
والطواف والسعى ، والحلق .
وبهذا تنتهى اعمال العمرة بعرفة ورمى الجمار وطواف الإفاضة
والمبيت بمنى والذبيح والحلق أو التقصير
هذه هى خلاصة أعمال الحج والعمرة .

الاقتصاد الاسلامى
مدخل ومنهاج

بقلم الأستاذ الدكتور عيسى عبده

الحلقة الرابعة :

ولهذا للمؤلف قيمته من غير شك .. وإن كان محاولة لوصف الدخل والايراد القومى وما كان من الميسور فى زمن ادم سميث أن يتعرض كاتب أو عالم أو باحث لثروة الأمم بمفهومها المعاصر . . على أن « آدم سميث » أضاف شيئا إلى جملة المسلمات فى هذه الدراسة . ومن ذلك أنه اتخذ منهجاً علميا للبحث فى القيمة وصلتها بالحوافز الانسانية فى موازنات لاينقصها منطق ولا وضوح . . فهو يزن الحافز إلى اقتناء الشىء فى مقابل التضحيات التى لابد منها لإنتاج هذا الشىء (أو ما يعرف بتكلفة الانتاج) ويصف الدور الذى تؤديه بالتكلفة فى تحويل هذا بالحوافز واتخاذ الفرد سلوكا ظاهريا يدخل فى مجال هذه الدراسة . . كان يقبل المستهلك على الشراء وكان يقبل المنتج على الانتاج .

وقد يقال بحق إن هذا الذى ينسب إلى آدم سميث قد سبقه إليه غيره . ومنهم الطبيعيون وهاريس وكانتيون ولوك . . هذا صحيح .. ولكن الوضوح الذى عرض به « آدم سميث » ماوصل إليه من نتائج . . جعل هذه الجزئيه الهامة فى دراسة القيمة من مآثره على الاقتصاد .

وفى واحد آخر من الميادين التى ارتادها الطبيعيون . . جاء آدم سميث ليزيد الأمر وضوحا وهو ميدان تكرر البحث فيه وتفاقم الخلاف .. وهو ميدان البحث فى جدوى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى .

بدأ الطبيعيون بالتحامل على وفرة القيود التى ورثها المجتمع عن التجاريين وبهذا مهدوا لحرية النشاط الاقتصادى وحذروا من تدخل الحكومة إلا بمقدار وجاء آدم سميث ليقرر بأن الحكومة تسىء إلى المجتمع بالتدخل فى التجارة ويلاحظ أنه إلى هذا الوقت الذى عاش فيه آدم سميث (أواخر القرن الثامن عشر) كانت التجارة هى الرمز الذى لا يخطىء للنشاط الاقتصادى الكبير (مع التحفظ بشأن الزراعة فى نظر الطبيعيين) إذن حين

يقول آدم سميث بأن الحكومة تضر بالاقتصاد بالتدخل فى التجارة فقد تابع الطبيعيين فيما أثاروه من نزعة إلى حرية النشاط بفروعه وزاد آدم سميث هذا الامر تفصيلا حين قال بان الفرد قد يطمع وقد يظلم المجتمع بما يذهب إليه من المبالغة فى تحقيق المصلحة الخاصة ولكن الحكومة (فى تقدير آدم سميث) وإن اجتمعت لها أسباب الإخلاص وحسن النوية لا تستطيع أن تخدم المجتمع بتدخلها فى النشاط الاقتصادى إلا عند مستويات أدنى من نظارها فى ظل حرية الفرد مهما تدلى هذا الفرد فى المادية . . عرف هذا القول عن آدم سميث وعنيت به المدرسة الألمانية فيما بعد إلى حد أن هذه الموازنة بالذات قد أصبحت عند الإمام ملمحا خاصا يميز آدم سميث عن غيره من مؤسسى الاقتصاد الحديث .

ومرة أخرى نقول بأن ما نادى به آدم سميث وزاد قضية التدخل فى النشاط الاقتصادى عمقا وتعقيدا مرة أخرى نقول بأن الأمر عندنا مستقر وغير قابل للجدل عنه فوم يوقنون ففى تراثنا نصوص ، وفى الفنون والشروح كنوز . ومن ذلك ما كتبه (ابن خلدون) قبل آدم سميث بأربعمائة عام ، وفى المقدمة حين قال « فصل فى أن تدخل السلطان فى التجارة مفسدة للارزاق مضرة بالجباية » والفرق بين ماسبق إليه العالم المسلم وبين أقوال غيره من كتاب الاقتصاد الوضعى هو أن ابن خلدون يستقى من مصادر لا تتحول (هى الكتاب والسنة) وكذلك كانت الحال مع فقهاء المسلمين الذين سبقوا ابن خلدون ومحل النظر هنا أن الاستقرار عامل جوهرى فى تحقيق العدالة والأمن ولكنه لا يزال بعيد المنال فى كل مجتمع يفصل بين الدين والنشاط الاقتصادى

وبجهود آدم سميث اتسعت آفاق الدراسات الاقتصادية وتشعبت بحيث أنه من العسير أن يتصور الباحث قدرة فرد واحد على أن يحيط بكل ما أراد أن يحيط به فكان يلمح الأمر ثم يهمله أو ينساه . . فى تقدير المؤرخين من بعده أنه أثار أموراً ربما لم يكن فى وسعه أن يقدر مداها وربما كانت لعهده سابقة لأوانها كدور النقود فى جملة الدراسات الاقتصادية .

ولئن كان بعض الذى قال به آدم سميث لا يعتبر اختراعا من عنده ولا كشفا بل يعتبر مما يدركه المواطن العادى بالفطرة السليمة إلا أنه مع ذلك وضع الأسس القادرة على أن ترفع من بعده صروحا ضخمة توالت وهى المدارس الأقرب إلى مفهوم العلم وضوابطه .

القديم والجديد

للأستاذ الدكتور أمين رضا
أستاذ جراحة العظام بكلية طب اسكندرية

يعيش المسلمون اليوم فى خضم من التيارات المتضاربة . وبعضهم - قليلو العلم وقليلو الإسلام - تائهون زائغو الفكر بين إسلامهم القديم وحضاراتهم الجديدة فهم ينظرون إلى ناحية فيرون الصواريخ التى تجوب الفضاء . وإخوانهم من بنى الإنسان يسيرون على سطح القمر ، وعلماء يقيسون حجم الذرة ، ويصلون إلى أدق تركيباتها ، ويفتتونها . وآخرون منهم ينقلون الصوت والصورة بل ودقات القلب وشهيق التنفس وزفيره عبر القارات ، بل وعبر الفضاء وبين النجوم والأفلاك .

ثم ينظرون إلى جهة أخرى فيرون كتابا قديما يقرأ عمره أربعة عشرة قرنا طويلة قيل لهم إنه من عند الله ، ولكنهم لم يحاولوا أن يتحققوا من ذلك . وقيل لهم أن لهم رسولا اسمه محمد ولكنهم لم يفكروا فى أن يتعرفوا عليه . وكل مايلمون به عن دينهم هو أنهم يلقبون أنفسهم مسلمين وأن فى الإسلام أناسا معممين ، يفتون فى بعض المسائل أحيانا ، ويقرأون على موتاهم أحيانا أخرى وقد تكون لهم وظائف أخرى لايعرفونها على وجه التحديد .

إن مثل هؤلاء الناس يحتاجون إلى مايوضح الرؤية أمام أبصارهم ، ويعيد صحوة بصائرهم حتى تخف الدهشة التى تستولى عليهم من الإنجازات العلمية ، ويزيل الغشاوة التى تعميهم عن دينهم المنقذ لهم فى الدنيا والآخرة .

إن جهلهم بجميع التيارات المتضاربة التى تحيط بهم يجعلهم غير قادرين على التمييز بين الطيب والخبيث ، ولا بين الخير والشر . فهم لذلك - تساهلا منهم - يعتنقون الجديد لا لشىء سوى أنه جديد ، ويطرحون القديم لأنه قديم .

فلينظروا نظرة فاحصة للعلم الحديث الذى يبهرهم وللدين القديم الذى يطرحونه ظهريا.

هذه الإنجازات العلمية التى يستحدثها الإنسان ماهى ؟ ليست معجزات ، فالمعجزة يعجز عنها الإنسان . وهذه الاختراعات العلمية التى قام بها الإنسان أنها نتيجة كشف البشر لقوانين الكون ، ونتيجة استعمال السنن الطبيعية أحسن استعمال ، وما فضل الإنسان فى هذه الاكتشافات والاختراعات ؟ أن الذى سن هذه القوانين الطبيعية هو الله الخالق المبدع المدبر للكون أحسن تدبير . وهو الله كذلك الذى علم الإنسان هذه القوانين وأمره أن يستعملها ويحمده عليها . هو الله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم وخلق عقله الذى استعمله فى الاكتشاف والاختراع . كما خلق فى الإنسان صفة الفضول التى تجعله ميالا للنظر فى كل شىء ، وصفة المثابرة التى تجعله يستمر فى محاولاته حتى يصل إلى أهدافه . إذا فإن الله هو الذى خلق العالم وسننه ، وخلق كذلك العالم وعقله ونفسه . أى أن الله سبحانه وتعالى خلق العلم وجعله سراً يكتشف وخلق العلماء وجعلهم الآلات التى تكشف هذا السر .

أما هذا الدين القديم الذى لا يريدون أن يتبعوا أحكامه لا لشىء سوى أنه قديم . ماهو ؟ ائن كانوا علماء حقاً ألا يدرسون هذا الدين قبل أن يحكموا عليه بعدم صلاحيته لا لشىء إلا أنه قديم ؟ كل مسلم يعرف بالدليل القاطع أن كتابه هو أثبت كتاب على الاطلاق . ثابت أنه من عند الله وثابت عدم تحريفه أو تغييره ولا قيد أنمله فى جميع مراحل نقله بين الملك الذى حمل نصوصه لرسول الله وبين الرسول الكريم الذى تلاه على ملأ من صحابته الأفاضل ، وبين هؤلاء الصحابة وأجيال المسلمين الذين تداولوا قراءة القرآن وحفظه وكتابته من لحظة نزوله حتى يومنا هذا . وتناولت هذه المداولة جميع طرق النقل الثابت فى الصلاة ، وفى الدراسة ، وفى الكتابة ، وفى التطبيق على أحوال المسلمين . مما يجعل ثباته وانتشاره وتداوله وتواتره شيئاً يستولى على العقول استيلاء ولا يحتاج إلى برهان أو تشكيك أو أى كلام يمسه أى مساس من قريب أو بعيد .

وقد كان نزول الإسلام فى عصر كانت البشرية فيه تمر فى فترة يسميها مؤرخو

الغرب - لامؤرخو الشرق - عصور الظلام . فكانت جميع بلاد العالم لا يحكمها إلا الجهل والفوضى والتنازع والقوانين التى نسميها الآن قانون الغاب ، وحكم القوى على الضعيف . أما جميع العلوم التى توصلت إليها البشرية من يوم أن بدأت تتعلم ، وجميع الدراسات التى أنجزتها الأجيال تلو الأجيال ، أصبحت كل هذه نسيا منسيا ، كما أصبحت جميع الأديان السماوية التى سبقت الإسلام مبادىء يهزأ منها الناس ، وأصبحت الوثنية والشرك والإلحاد وعبادة الشمس والقمر والنار والحجارة والأشخاص والحيوان هى الأديان المنتشرة انتشارا يفوق انتشار الأديان السماوية المحرفة الموهة التى كان يتجنبها الناس .

نزل الإسلام فى مثل هذا العالم الظالم الجاهل المظلم الملحد الكافر الصابىء ، وكان لنزوله وقعا شديدا لا فى مكان نزوله فقط بل فى جميع أنحاء العالم . ولا فى النواحى الدينية والاجتماعية فقط ، بل فى جميع نواحى الحياة الثقافية والعلمية ، ويعترف مؤرخو الغرب - لامؤرخو الإسلام - أن الإسلام بعث العلوم من جديد ، وهز الناس هزاً عنيفاً ، فصحوا من نومهم الطويل ، وأيقظ العقول من غفلتها فسارعت إلى العلوم الدنيوية مسارعتها للعلوم الدينية . وكان المسلمون يعتبرون العلوم الطبيعية جزءا متمماً لدينهم . لأن الإسلام كان يحثهم على العلم والتعلم . وكان للمسلمين - بأعتراف مؤرخى الغرب - لامؤرخى الاسلام - الفضل الكبير فى المحافظة على تراث الإنسانية من العلوم السابقة لعصرهم . فدرسوها واستوعبوها وترجموها ونقلوها وسجلوها . كما كان لهم الفضل الكبير فى تأسيس علوم حديثة كثيرة . ولا زلنا إلى الآن نرى تأثير المسلمين على هذه العلوم من نظريات توصلوا إليها وفى ألفاظ علمية عربية انتشرت فى جميع لغات العالم لا فى لغة المسلمين فقط .

لن ينقذ المسلمين من حيرتهم بين القديم والجديد إلا بعث مثل البعث الذى أنقذ البشرية فى العصور المظلمة من أربعة عشر قرناً . لن ينقذهم إلا رجوعهم عن موقفهم الحالى فى نبذ القديم - والدين منه - واعتناق الجديد بدون تمييز ولا دراسة .

ادرسوا - إن كنتم علماء حقا - كل قديم وكل جديد . واتبعوا الحق منهما . والاسلام كله حق . والعلم الحديث الثابت فيه حق كثير . وبذلك تتحقق لكم سعادة الدارين ، طمأنينة فى الدنيا ، والسعادة الأبدية فى الآخرة .

المعجزة الخالدة في القرآن المجيد

بقلم الأستاذ الدكتور زكريا البرى
أستاذ ورئيس قسم الشريعة بكلية حقوق القاهرة
وخبير مجلس الشعب فى الشريعة الاسلامية

— ١ —

١ — يروى الإمام الترمذى عن الإمام على — رضى الله عنه — قوله : « سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : أنها ستكون فتنة ، قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لاتزيغ فيه الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن لما سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن هدى به هدى إلى صراط مستقيم » .

وفى هذا الحديث النبوى الكريم إشارة إلى جوانب من الاعجاز القرآنى ، الدال على أنه كلام العليم الحكيم ، مصداقاً لقول الله — سبحانه — : (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ، إنما أنا نذير مبين ، أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقوله — عز وجل — : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) .

وجوه الإعجاز :

٢ — ونجمل وجوه إعجاز القرآن الكريم إجمالا شاملا فى الأمور التالية :

أولا — بلاغة القرآن الكريم وفصاحته ، وجمعه بين النظام الرائع والمعانى السامية ، وقوة تأثيره فى الأرواح والنفوس ، وسهولة حفظه ، وخفته على اللسان والجنان ، وبلوغه فى ذلك كله منزلة لاتدانيها منزلة لغيره ، حتى إن الوليد بن المغيرة مع كفره يواجه العرب بذلك ، ويقول : والله مامنكم رجل أعرف بالأشعار منى ، ولا أعرف برجز الشعر وقصيده منى ، والله مايشبه الذى يقوله شيئاً من هذا ، وإن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم مانحته » . وحتى

إن عمر بن الخطاب يستمع إلى بعض آيات فتشرق عليه أنوار الهداية السماوية ، وتسكن نفسه وتنحنى رأسه إجلالا للقرآن العظيم ، بعد ما كان موقفه من ممن سبقوه إلى الإسلام .

وإذا كان العرب ـ وهم فرسان البلاغة ـ قد عجزوا عن الاتيان بمثله ، فإن عجز غيرهم من الأمم أولى وأظهر . وإن سبحانه وتعالى يقول : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) .

ثانياً ـ ترابط سوره وآياته وكلماته ، وتناسق أحكامه ومعانيه ، فلا يوجد تعارض مطلقاً بين حكم وحكم ولا بين معنى وآخر ، ولا تناقض بين آية وآية ، مع كثرة ما يتناول من الموضوعات ، وعالج من المشاكل والتشريعات التى استوعبت جميع العلاقات الاجتماعية ، ومع أنه قد بلغت آياته نحو ستة آلاف آية . والله سبحانه وتعالى يقول فى ذلك : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا قيما » ويقول ـ عز وجل : « وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » ويقول : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

فإن رأى بعض الناس تعارضا بين بعض الآيات ، فمرد ذلك إلى اعوجاج تفكيرهم ، وخطأ أفهامهم ، أو تحكيم أهوائهم ، وتحريف الكلام عن مواضعه .

ثالثا ـ إخبار القرآن العظيم بحوادث ماضية فى القرون الخالية ، فقد قص أخبار عاد وثمود وقوم لوط ، وأخبار موسى وفرعون ، وغير ذلك من قصص الأنبياء والمرسلين ، وكانت تلك الأخبار صادقة وموافقة للمنقول فى الكتب السماوية السابقة ، التى لم يتناولها تحريف ولا تبديل ، ومتفقة مع أخبار التاريخ الصحيح . ولا يمكن أن يكون هذا من عند النبى ـ عليه الصلاة والسلام ، فقد كان أميا لم يقرأ ولم يكتب ، وما جلس إلى معلم ، بل اختصه الله سبحانه ـ بالعقل الراجح والمعارف الالهية « والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الحكمة الالهية فى ذلك ، بقوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، إذا لارتاب المبطلون » وبقوله ـ عز وجل ـ : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين) (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون) « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) .

ولقد حاول المشركون ـ عناداً ـ أن ينسبوا هذه الأنباء التاريخية إلى رجل يعلمه ، فرد عليهم القرآن وكذبهم ، فقد كان هذا الرجل فتى أعجمياً لا يجيد العربية . وليس له علم بحوادث التاريخ الماضية . وقال ـ سبحانه ـ : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين) .

رابعاً ـ أخبار القرآن بأمور مستقبلة ، وقعت كما نطق ، فقد وعد المؤمنين بالنصر والغلبة فى غزوة بدر الكبرى مع قلة العدد ، فى قوله تعالى : (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ؛ ولو كره المجرمون) .

كما وعدهم بفتح مكة فى قوله ـ سبحانه ـ : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً)

كما أخبر بانتصار الروم وهم أهل كتاب على الفرس المشركين بعد أن كان الفرس غالبين ، فى قوله تعالى : « آلم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون) .

وقد استرد الروم قوتهم ، وهاجموا الفرس ، وانتصروا عليهم ، فى الوقت الذى انتصر فيه المسلمون ببدر ، وهو مايشير إليه قوله تعالى : (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .

ومن ذلك إخباره ـ سبحانه ـ فى القرآن الحكيم بضرب الذلة على بنى إسرائيل الأشرار فى جميع الأزمان إلى يوم القيامة ، وأن هذه الذلة لا ترتفع عنهم إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، ارتفاعا جزئياً ونسبياً موقوتا بارادة الله سبحانه وتعالى وحكمته ، وبما يقدمه لهم بعض الناس من معونات وقتية ، وفى ذلك يقول الله تعالى : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ويقول سبحانه : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا

يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» ويقول سبحانه : (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم ، وقطعناهم فى الأرض أمما) .

ونلفت الأنظار إلى بعض المعانى والأسرار القرآنية فى هذه الآيات :

فمن ذلك أن الذلة مضروبة عليهم ، بمعنى أنها سكنهم تلازمهم ويلازمونها ، وتغطيهم وتحيط بهم ، ويشهد لذلك الأسلوب العربى الذى يقول : « ضرب الرجل خيمته على امرأته» أى جعلها سكنها وغطاءها لا تبرحها ، فإذا خرجت منها لعارض فإلى عودة سريعة . ثم بمعنى أنها طابعهم المميز بين الأمم ، تلازمهم ملازمة الطابع المطبوع ، ويشهد لهذا المعنى قول العرب: ضربت النقود أو وضعت عليها نقاشها وشاراتها المميزة لها والمحدودة لقيمتها ، وكما يعاد ضرب النقود على وجهها إذا زالت عنها نقوشها المميزة ، بإدخالها فى النار وصهرها ، فكذلك شأن الاسرائيليين ، إذا زالت عنهم الذله لعارض ، أعيد ضربها عليهم من جديد ، بصورة أوضح وأعمق .

ومن ذلك أن السر القرآنى فى إطلاق ضرب الذلة عليهم فى الآية الأولى بدون استثناء ، بناء على ماهو شأنهم وطبعهم ، واستثناء حالة حبل الله وحبل الناس فى الآية الثانية ، يشير إلى أن ارتفاع الذلة عنهم حالة وقتية محدودة ، لا تلبث أن تزول بزوال أسبابها ، ولا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لحالتهم الأصلية والمستمرة فى جميع الأزمان .

ونوضح اختلاف التعبيرين فى الآيتين الكريمتين إطلاقا فى الأولى وتقييداً فى الثانية بهذا المثال :

فلان من الناس عرف بالجبن طول حياته ، لم يخرج عن طبيعته إلا مرة بسبب تأييد رجل قوى له ، نصفه بالجبن دون استثناء ونحن صادقون ، لأن هذا شانه وشيمته ، دون التفات إلى الشجاعة العارضة غير الذاتيه ، ونصفه أحياناً بالجبن مع استثناء تلك الحالة ، وبيان سببها الخارجى .

ومن ذلك أن المسكنة وهى الضعف النفسى الذى قد يحاولون إخفاءه ، كما يفعل الجبان أحيانا ، والحاجة إلى الغير ، مضروبة عليهم فى الآيتين بدون استثناء ، وكذلك الغضب الإلهى .

ومن ذلك ان وعد الله سبحانه بأن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب قائم إلى يوم القيامة.

ومن أن ذلك تقطيعهم إلى جماعات متفرقة فى جوانب الأرض هو حكم الله عليهم ، فمن المستحيل أن تكون لهم دولة تجمع شملهم جميعا من كل بلاد الدنيا ، وأن يكون لهذه الدولة استقرار ذاتى دائم ، كما هو الشأن فى الدول المستقرة .

يقول الفخر الرازى فى ضرب الذلة على اليهود « ومن العلماء من هذا من باب المعجزات ، لأن القرآن أخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم ، ووقع الأمر كذلك ، فكان آهذا اخبارا عن الغيب ، فيكون معجزا » وأقول : ولقد كان الاستثناء فى الآية الثانية وجها وخر من وجوه الاعجاز .

وقد مضت القرون وحوادث التاريخ البعيد والقريب لبنى إسرائيل ، مشاهد صدق لخبر الله سبحانه ، كما ذكر القرآن الحكيم

هو ما نرجو أن يحققه الله على أيدى العرب والمسلمين ، وهم أهل لذلك بحكم دينهم وعروبتهم وتاريخهم وتراثهم - إذا استجابوا لنداء القرآن وتحذيره ، فى قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله - سبحانه - : (وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم) (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)

وقد بدت مقدمات النصر وبشائره فى المعركة الأخيره ، التى خاضتها الجيوش العربية بجدارة باسم الله ، والله أكبر ، واستعمل فيها العرب أسلحتهم الحربية والاقتصادية والسياسية وندعو الله سبحانه أن يتم علينا نعمته ، وأن يجعل لقادة العرب للعاصرين شرف اتمام تحرير بلادهم ، واسترداد أوطانهم ومقدساتهم ، وأن يكون لهم ذلك فى الدنيا مجدا وفخرا ، وفى الآخرة اجرا وذخرا .

هـــذا الركام باسم الاسلام

الشيخ غير راض عني إلى يوم القيـــــامه

بقلم : محمد عبد الله السمان

إن مدارس الحى الزينبى بالقاهرة كل عام — ومنذ بداية الاحتفال بمولد السيدة زينب ، رضى الله عنها ، وحتى بعد الانتهاء منه — تصبح محتلة للطرق الصوفية احتلالا مشروعا ، لايستمد مشروعيته — بالطبع — من الاسلام . بل من الجهات المسئولة فى وزارة التربية والتعليم بناء على توصيات الاتحاد الاشتراكى ، وعندما ينتهى الاحتفال — وعلى وجه أصح — بعده ببضعة أيام ، فبعض مشايخ الطرق ينتظر إلى أن يؤدى صلاة الجمعة فى المسجد الزينبى ، لأن ذلك - فى رأيه - من متممات النسك ، عندما ينتهى الاحتفال تبدو مشكلة ذات أهمية ، حيث تصبح كل مدرسة فى حاجة إلى فرقة من فرق التطهير فى وزارة الصحة ، ثم إلى إصلاح ما أفسدته أيدى أتباع الطرق الصوفية بالمدرسة وتتساءل إدارة المدرسة من أين لها النفقات المطلوبة ؟ ويجيب المسئولون : من المجهود الذاتى .

ومنذ أيام - وبعد الانتهاء من المولد - قصدت السيدة زوجى مدرستها وهيئة التدريس ، فهالها أن تجد غرفتها محتلة ومكتبها مطوحا به فى أحد الأركان ، فهاجت ، فالغرفة هى الوحيدة التى تجتمع فيها هيئة التدريس لإنجاز الأعمال ، وصعد الشيخ ليعايب خاطرها ، ويأمر بالجلاء السريع من الغرفة وإعادة المكتب إلى مكانه ، وبعد أن ساد شىء من الهدوء ، واستقر الشيخ على أحد المقاعد ، وجه الكلام إلى السيدة زوجى متسائلا:

كيف يليق بسيدة مسلمة مؤمنة تحب آل البيت أن تعيش تحت سقف واحد مع إنسان كافر لأنه يكره آل البيت ؟

ولم ينس صاحب السماحة العارف بالله صاحب الفضيلة الشيخ عمارة ، وهذه العبارات وأكثر منها مدونة على بطاقته بالإضافة إلى صورته « الكريمة » لم ينس أن يوجه نصيحته إلى السيدة زوجي ، وقد رآها أن تحمل بعض الأدويه من الصيدلية ، إلا أن هذه الأدوية التي يصفها الأطباء المختصون لمرضاهم هي سبب الأمراض ، ولو أنها ألقت بكلام الطبيب ومعه الأدوية في سلة المهملات ، ودأبت على زيارة ضريح السيدة زينب رضي الله عنها لبرئت تماما .

ولست أدري : أين المسئولون من هذه النصيحة الغالية ؟ إنها توفر للدولة ـ وهي في حاجة إلى التقشف ـ ملايين الجنيهات التي تنفقها على كليات الطب والصيدلة ، وألوف الجنيهات من العملة الصعبة التي تستورد بها مئات الأنواع من الأدوية الأجنبية ، وقد تصبح هناك مشكلتان : مشكلة الضريح الزينبي حيث لا يكفي لتدفق ألوف المرضى ، وإيجاد الحل لهذه المشكلة سهل ميسر ، إذ من الممكن أن يقام ضريح للسيدة زينب في كل مدينة بل كل قرية . وأهل الخير من البذج كثيرون ، إذ في استطاعتهم أن يقوموا بتشييد آلاف الأضرحة على نفقاتهم الخاصة دون أن يكلفوا الدولة شيئاً .

وبهذه المناسبة حدث في إحدى قرى محافظة القليوبية أن شيد أحد التجار ضريحاً لأحد المجاذيب وهو لا يزال على قيد الحياة ، والمسألة ليست نكتة ، فقد طلب المجذوب من التاجر أن يعاهد الله على بناء ضريح له بعد أن ينتقل ، فالأولياء لا يموتون ، ولكن ينتقلون ، فما كان من التاجر لكي يطمئن « ولي الله » إلا أن شيد له الضريح ، وأغلق في انتظار انتقال الشيخ ، والعجيب أن سكان القرية وما جاورها أخذوا في التردد على الضريح للزيارة ، والتماس البركة ، ولا يزالون يحملون النذور إليه ، بل بدأ البعض يؤلف ويبتكر من خياله قصصاً من كرامات الشيخ .

أما المشكلة الثانية ، فهي إيجاد عمل لآلاف الأطباء الذين سيسرحون ـ بالطبع ـ والحل سهل ميسر يمكن أن ينضموا إلى صفوف الدراويش ، فالدراويش اليوم دولة

داخل الدولة لها سلطانها ومقوماتها ، ولها جيش من السطاء الأغرار يدافعون عنها بألسنتهم وأقلامهم ، وأرزاق رعاياها مضمونة مائة فى المائة ، وهى أرزاق لا يقابلها جهد ذهنى ولا جهد بدنى .

ولنبدأ القصة من أولها :

فى العام الماضى ، وفى الليلة الأخيرة من مولد السيدة زينب - رضى الله عنها - قمت بجولة ابتداء من منتصف الليل حتى مطلع الفجر ، وسجلت هذه الجولة فى كلمة بجريدة الأخبار ، وكانت مدرسة السيدة زينب الجديدة يحتلها شيخ طريقة من السنطة اسمه « الشيخ عمارة » يتبعه عشرات من الناس رجالا ونساءً وأطفالا ، وفى ظهيرة اليوم التالى جاءتنى دعوة من الشيخ للمثول بين يديه ، فقد احتجر هيئة التدريس والناظرة مصراً على تناول شىء من مائدته ، وفوجئت بالمدرسة وقد تحولت إلى معسكر خليط من الرجال والنساء والأطفال قياماً وقعوداً ونياماً بلا مراعاة لأية تقاليد . وصافحت الشيخ بلا انحناء ، وبدأ الوجوم على العمالة والواقفين إلى جواره فى انتظار أية إشارة منه وجاء مكانى إلى جوار فتاة فى زى الدراويش لا تتجاوز الرابعة والعشرين من عمرها لكنها رائعة الجمال إلى حد الفتنة ، وعرفتنى بنفسها ، إنها باحثة اجتماعية بمدرسة السنطة الإعدادية للبنات ومرشحة إلى مدرستها الثانوية ، وقد جاءت لتكون - مع أخوات لها فى الطريق - لتكون فى خدمة الشيخ ، نسيت .. أنها متزوجة ولها ثلاثة أطفال .

وهمست إليها : « إذا كان من الجائز أن لا نلوم هؤلاء الدراويش الواغلين فى الأمية والدجل معاً ، فهل يمكن السكوت عن مثقفة مثلك ؟ وصاحت « حى . حى » ، وقلت لها : دعك من هذا ، لا تهربى .. وأحس الشيخ بما حدث ، فوجه إلى سؤالا للاجابة عنه ؛ وليرحم الفتاة منى ، قال : ما رأى الأستاذ فى مولد السيدة هذا العام ؟ وأجبته فى صراحة : لقد طفت الليلة بكل مشاهد المولد ومظاهره ، وأتحدى أياً منكم أن يذكر لى مشهد واحد يرضى الله والإسلام عنه !

وبهت الشيخ ومن معه وأنا أسرد المناظر المؤذية التى شهدتها بنفسى .. وكان إلى جوار الشيخ عالم من مفتشى وزارة الأوقاف السابقين ، عرفته بعد أن ذكر لى اسمه ، فاعتدل فى جلسته متحمساً للرد ، وقبل أن يبدأ الدفاع سأل: من المتكلم؟ وذكر له اسمى ، فهدأ قليلا ، ودخلنا فى مناقشة حول الشريعة والحقيقة ، وبينما النقاش فى أوج حدته ، إذ بالشيخ العارف بالله يريد الكلام ! لكنى لم أمهله يتكلم ، ورجوته أن يلتزم الصمت مادمت أناقش عالماً من علماء الدين ، فانبرى قائلا : هذا العالم الذى يجلس إلى جوارى أنا الذى علمته العلم ، وانتظرت من العالم أن يقول شيء إلا أن يقول : هذا حق ، وإن كان الشيخ ـ شيخ الطريقة ـ لم يدخل فى حياته كتاباً إلا أننى تلقيت العلم الحقيقى على يديه « يقصد العلم اللدنى » وهو من مخترعات أرباب الطرق الصوفية ، وعندئذ قلت : انتهت المناقشة ..!

وفى هذا العام أراد الشيخ أن يحاول القصاص منى ، فكان منه ما كان مما ذكرته فى بداية المقال ، وذكرت لأحد كبار رجال التربية عبارة الشيخ للسيدة زوجى : أبلغى الأستاذ أننى غير راض عنه إلى يوم القيامة .. فضحك المربى الكبير . ثم قال لى: ماذا يغضبك يا أخى ؟ هذا من فضل الله عليك ، أليس من فضل الله علينا أن لا يرضى الشياطين عنا ..

وبعد : فمن الخير لنا أن نقرر هنا ..

أولا : إننا حين نحارب مظاهر القداسة للأضرحة ـ ولو كان أصحابها من آل البيت ـ رضوان الله عليهم ، ليس معناه أن بيننا وبين آل البيت عداء ، فليس هناك مسلم لا يحمل إلا كل حب وتقدير لآل البيت .. لكن المخرفين يحاولون أن يصورونا بهذه الصورة مستغلين العاطفة الكاذبة .

ثانياً : أن مسألة الموالد التى أصبحت جماع كل وباء خلقى ، يجب أن يعاد فيها النظر فقد خلقت لنا هذه الموالد جيشاً جراراً من الباطلين والمرتزقة ، يسهمون فى إحياء المولد

على مسار العام ، ويتنقلون من مولد القنائى بقنا إلى مولد العباس المرسى بالإسكندرية ، والموالد لاتتوقف على مسار العام إلا فى شهر رمضان - دون سائر الشهور - الذى كان عقيما ، فلم ينجب وليا من أولياء الله الصالحين ؟

إن الألوف المؤلفة التى تتكدس فى مولد السيد البدوى أو الحسين أو السيدة ، وتفد من مشارق الدولة ومغاربها ، معظم هذه الألوف لم تندفع إلى هذا السلوك بدافع من العاطفة الدينية ، وإنما بدافع الترفيه عن النفس ، والتخفيف من وطأة المعاناة التى تعيش فى داخلها وترهق أعصابها .

والعجيب أن المتحدثين بألسنة الطرق الصوفية من أرماع المثقفين ، يعترفون بأن الطريقة الصوفية التى لا تلتزم بالكتاب والسنة تعتبر طريقا من طرق الشيطان ، ويرى هذا البعض أن من منهج الإسلام الحرص على وحدة المسلمين ، وأحق المسلمين بهذه الوحدة أرباب الطرق الصوفية الذين يطلقون على أنفسهم لقب « أهل الله » وإذا كان مقبولا - جدلا - أن تتنوع الطرق الصوفية تبعا لمؤسسيها الأول ، فهل يقبل - ولو جدلا - أن تتفرع الطريقة الأحمدية إلى أربع عشرة طريقة ، والشاذلية إلى سبع عشرة طريقة ، والخلوتية إلى ثلاث عشرة طريقة وهكذا . ؟

وهذا البعض من المتحدثين بلسان الطريق يستند إلى أقوال منسوبة إلى رجال التصوف ، فما قاله الجنيد سيد الطائفة - كما يلقبونه - : من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة .. فإذا قلت لهذا البعض : أليس الجنيد هذا هو الذى طلب التين ، ولم يكد يضع واحدة فى فمه حتى ألقاها وأخذ فى البكاء .. فقد هتف هاتف : أما تستحى ، تركته من أجلى ثم تعود إليه ؟ أليس الجنيد هو الذى روى عنه : أنه كان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ، ثم يعود إلى بيته ؟ أليس الجنيد هو القائل : ما رأيت أعبد من « السر

البقية على ص ٤٤

من مفردات القرآن :

٤ - الـــــرؤيا

١٧ – كلامه صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا :

* يقول صاحب فيض القدير[١] : « وكذا يقال فى كلامه فى النوم فما وافق سنته فهو حق ، وما لم يوافقها فخلل فى سمع الرائى » .

* وقد سئل شيخ الإسلام زكريا الأنصارى عن رجل زعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : مر أمتى بصيام ثلاثة أيام وأن يعيدوا بعدها ويخطبوا . فهل يجب الصوم أو يندب أو يجوز أو يحرم ؟ وهل يكره أن يقول أحد للناس أمركم النبى عليه السلام بصيام أيام لأنه كذب عليه ومستنده الرؤيا التى سمعها من غير رائيها أو منه ؟ وهل يمتنع أن يتسمى إبليس باسم النبى صلى الله عليه وسلم ويقول للنائم إنه النبى عليه الصلاة والسلام أو يأمره بطاعة ليتوصل بذلك إلى معصية ؟ كما يمتنع عليه التشكل فى صورته الشريفة أم لا ؟ وبه تتميز الرؤيا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصادقة من الكاذبة ؟ وهل يثبت شىء من أحكام الشرع بالرؤيا فى النوم ؟ وهل المرئى ذاته صلى الله عليه وسلم أو روحه أو مثل ذلك ؟

فأجاب :

* لا يجب على أحد الصوم ولا غيره من الأحكام بما ذكر ولا يندب بل قد ينكر ، أو يحرم ، لكن إن غلب على الظن صدق الرؤيا فله العمل بما دلت عليه مالم يكن فيه تغيير حكم شرعى ، ولا يثبت بها شىء من الأحكام لعدم ضبط الرؤيا لا للشك فى الرؤيا .

* ويحرم على الشخص أن يقول : أمركم النبى صلى الله عليه وسلم بكذا ـ فما ذكر ـ

(١) جـ ٦ صـ ١٣١

بل يأتى بما يدل على مستنده من الرؤيا ، إذ لا يمتنع عقلا أن يتسمى إبليس باسم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول للنائم : إنه النبي ، ويأمره بالطاعة .

* والرؤيا الصادقة هى الخالصة من الأضغاث :

والأضغاث أنواع :

الأول : تلاعب الشيطان ليحزن الرائى كأن يرى أنه قطع رأسه .

الثانى : أن يرى أن بعض الأنبياء يأمره بمحرم أو محال .

الثالث : ماتتحدث به النفس فى اليقظة تمنياً فيراه كما هو فى المنام .

وبعد : فهذه بعض التساؤلات ، والإجابات حول « الرؤيا » أردت من إيرادها فى هذا المقال إزالة بعض الغموض عن هذا الموضوع الخطير ، حتى لا يستغله استغلالا سيئاً بعض من لا علم عنده ولا فهم ، فيعبث بالدين وبأحكامه !!

خاصة وأن أكثر الخرافات والبدع التى منيت بها هذه الأمة إنما جاءتها من هذا الطريق !

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه ، ونعوذ بالله أن نذكر به ونشاه ؟

محمد جميل غازى

(هذا الركام باسم الإسلام — بقية المنشور على ص ٤٢)

السقطى ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ، ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت » حين تقول لذلك البعض هذا ، أجابوك كل هذا مدسوس على الجنيد وأمثاله .

وبعد مرة أخرى : فليس مستساغاً أن نشغل أذهان المسلمين بمثل هذا ، والإسلام فى هذه الأيام يعانى الأمرين ، من التحديات العنيفة التى تواجهه من الصليبية والشيوعية والصهيونية والأقليات المسلمة تجرى فيها عمليات الاستئصال فى الفلبين وبلغاريا وتايلاند وغيرها .

لكن حين يدلهم الخطب ، وتفيض الكأس بعد امتلائها ، وأدعياء التصوف باسم الإسلام يشوهون الوجه المشرق للإسلام . يصبح السكوت هو الأمر غير المستساغ .!!

محمد عبد الله السمان

إتباع الرسول ﷺ

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنزل على عبده آيات بينات ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، وصفيه وخليله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، فجزاه الله خير مايجزى نبيا عن أمته .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم ليطاع وليتبع ، وليتاسى به ويقتدى به ، فقال عز من قائل : (وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) وقال جل جلاله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال سبحانه (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وغير ذلك كثير فى القرآن يوجب على المسلم أن يطيع رسول الله ﷺ فيما أمر وفيما نهى . ذلك لأن الله أنزل عليه الكتاب وأمره أن يبينه ويوضحه ويشرحه للناس قولا وعملا ، فقال سبحانه (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فهو عليه الصلاة والسلام ترجمان الوحى والمبلغ عن رب العالمين ، فلا سبيل إلى فهم كتاب الله إلا عن طريقه فوجبت طاعته واتباع كل ما ثبت عنه على كل من ادعى الإيمان ودخل فى حظيرة الإسلام . إن الله سبحانه وتعالى أمر فى كتابه بالتطهر وأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الفرائض والعبادات والأحكام ، فبكيف السبيل إلى معرفة كيفيات كل ذلك إلا بالرجوع إلى حديث رسول الله ﷺ وبيانه لما أجمل القرآن . فإذا أخذنا الصلاة على سبيل المثال فإنا نجد أن الرسول بين ما أجمل القرآن فى قوله تعالى (وأقيموا الصلاة) فبين كيفية التطهر لها ، والأذان والإقامة ، وعدد ركعات كل صلاة ، وما يجهر فيها وما يسر ، وما يقرأ فيها الفاتحة فقط وما يقرأ

مع الفاتحة ما تيسر من القرآن ، وكيفية الركوع والسجود وعدد كل منهما ، وما يدعى ويسبح بها في كل حركة ، وكيف يجبر النسيان بسجود السهو . وبين أيضاً أن الصلاة عماد الدين ، وأن من تركها لاحظ له في الإسلام ، وأنه يخلد في النار مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف ، وبين أن مثل الصلاة في تطهير القلوب وتزكية النفوس والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي كمثل نهر جار أمام البيت يغتسل فيه صاحب البيت في اليوم والليلة خمس مرات ، فهل يبقى على بدنه شيء من القذر ؟ وفي الزكاة يقول ربنا (وآتوا الزكاة) ففصل رسولنا ﷺ مقادير الزكاة في الذهب والفضة ، وما يكون في الأنعام والثمار والزروع وما يكون في التجارة ، وما يخرج منها عندما يحصل وما يخرج منها بعد أن يحول الحول ، ومقادير النصاب من كل نوع . وقل مثل ذلك في سائر الأحكام والعبادات ، وليس بيان رسول الله ﷺ هذا من عند نفسه لأنه لا ينطق عن الهوى ولكنه وحي من الله سبحانه وتعالى . وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه أوتي القرآن ومثله معه ، وهو هذا البيان الذي فصل به مجمل القرآن وقيد مطلقه وخصص عامه .

أيها المسلمون : إن قوماً عجزوا عن تتبع حديث رسول الله ﷺ ، والعمل بهديه وسنته ، فقالوا : لا نأخذ ديننا إلا من القرآن ولا حاجة بنا إلى شيء من الحديث ، لمثل هؤلاء يقول رسولنا عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكيء على أريكته ، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله » وهكذا يقطع رسول الله السبيل على أعداء الحديث في كل زمان ومكان ، ويبين في قوة ووضوح أنه لا تعارض بين القرآن والحديث ، وكيف يتعارضان والحديث إنما هو بيان وتفصيل لما في القرآن ، فالقرآن هو الأصل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو تركه رسول الله ﷺ لهذه الأمة ، كما قال أبي هريرة رضي الله عنه ، فقد روى أنه رضي الله عنه دخل السوق يوماً فقال : « أراكم هاهنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد ، فذهبوا ثم عادوا فقالوا ما رأينا شيئاً يقسم ، رأينا قوماً يقرأون القرآن ، قال : فذلكم ميراث نبيكم » فالأصل هو القرآن والحديث شرح له ، ولا غنى لنا عن الشرح حتى نفهم الأصل ، ولذلك كانت طاعة الرسول ﷺ فريضة لا يمكن لإيمان مسلم أن يتحقق إلا بها . وقد كان أصحاب رسول الله أطوع الناس له ، وأكثرهم انقياداً له ، وامتثالا لأمره ، وأشدهم إقتداء وتأسياً به ، لأنهم هم الذين عرفوا مكانة الرسول وقدروه

قدره ، واقتدوه بأنفسهم ولم ينحرفوا عن سنته قيد شعرة ، ولذلك يقول حذيفة رضى الله عنه : كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها . فكانوا هم النجوم من اقتدى بهم اهتدى ، وكانوا هم الذين حملوا الرسالة إلى مشارق الأرض ومغاربها رضى الله عنهم وأرضاهم . وعن أصحاب رسول الله ﷺ قوله « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » — أى مردود على صاحبه لا يقبله الله — وقوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وقوله عليه الصلاة والسلام « من أحيى سنة من سنتى قد أميتت بعدى فإن له من الأجر مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن ابتدع بدعة لا يرضى الله ورسوله فإن عليه إثم من عمل بها لا ينقص من آثامهم شيئاً » فكانوا رضوان الله عليهم أشداء على حرب البدعة شدتهم على إقامة السنة وكانوا سراعا إلى الطاعة والإتباع لرسول الله ، مقدرين شرف اصطفائهم لصحبته ونعمة توفيقهم للاسلام .

اللهم وفقنا لطاعتك وطاعة رسولك ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . نحمده سبحانه وتعالى على سوابغ نعمه ومتتالى آلائه ، لا نحصى ثناء على ربنا هو كما أثنى على نفسه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، ولا ند له ، ولا كفؤ له ، لا نعبد إلا إياه ولا ندعو غيره ولا نسأل سواه ونشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله الصادق الأمين ، القائل : الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبداً حبشياً ، والنار لمن عصانى ولو كان حراً قرشياً ﷺ وعلى آله أجمعين .

أيها المسلمون : إن الله سبحانه وتعالى ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، منح رسوله صلى الله عليه وسلم من صفوف التكريم وانواع التشريف ، ماتقصر الألسنة ، وتكل الأفواه ، وتعجز الأقلام عن وصفه وبيانه ، ذلك أنه سبحانه وتعالى تولاه من يوم ولادته — بل من قبل ولادته — إلى يوم أن رفعه إلى الرفيق الأعلى ، تولاه برعايته ، وكلأه بحفظه وعنايته ، وذلك مذكور فى كتاب الله لمن تأمله وتلاه حق التلاوة ، فقد

أدبه الله فأحسن تأديبه كما قال هو عليه الصلاة والسلام، ومدحه وقال (وإنك لعلى خلق عظيم) وشرح له صدره ... ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وشرفه فقربه ليلة المعراج حتى آراه آياته الكبرى ، وأعطاه الكوثر ، وسد جميع الطرق إلى الجنة إلا طريقه ، وأنزل عليه كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يظل نوره يهدي إلى الصراط المستقيم حتى تقوم الساعة ، وكلما ذكر إسمه الشريف في القرآن قرنه بالرسالة ، ولم يذكره مجرداً من هذه الصفة الكريمة كما ذكر غيره من الرسل . فقد ذكر إسم الشريف خمس مرات في القرآن الكريم ، مره باسم أحمد ، وأربع مرات باسم محمد فقال على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام (ومبشراً برسول يأتي بعدي إسمه أحمد) ويقول (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ويقول (ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) ويقول (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) كل ذلك تصريحاً ، ويقول تلميحاً (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) ولا ينزل إلا على رسول ، ثم ذكر في المواضع الأخرى من القرآن بصفة الرسالة والنبوة وذلك تشريفاً له وتكريماً . ومن ذلك أنه سبحانه ما أقسم في كتابه إلا باسم إنسان واحد هو واحد الإنسانية عليه الصلاة والسلام فقال (فقال لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) فأقسم بحياته عليه الصلاة والسلام، وفي هذا شرف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: « ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره » وقد أقسم الله بكثير من خلقه كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وغيرها لفتاً للأنظار لما أودع الله فيها من المنافع ، وكذلك كان قسمه برسوله ﷺ لفتاً للأنظار إليه وإلى ما أرسل به من الحق والهدى . ولله سبحانه وتعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه ، ولكننا نهينا أن نحلف بغير الله ، فالحلف بغيره بالنسبة إلينا شرك ؛ كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام .

أيها المسلمون : إنما يريد الله بنا الخير فبين لنا مكانة رسوله عنده ليقودنا بذلك إلى طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به ، وشرح لنا رسولنا ذلك في كثير من أحاديثه الشريفة كقوله « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : ومن أبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار » وقد بذل صلوات الله عليه وسلم عليه من الجهود لإنقاذ الأمة من مزالق الشرك والكفر والضلال ما استحق به من الأمة أن تصلي وتسلم

عليه اعترافا لما ساق الله على يديه من الخير ، ويقول الله سبحانه وتعالى تنويها بفضله (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) تنزيها له عن النقص وإثباتا لعصمته . ويقول عليه الصلاة والسلام : « إنما مثلى ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ماحوله ، جعل الفراش وهذه الدواب تقع فيها فجعل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها » صلى الله عليك يارسول الله المحبة والرحمة والعطف والحنان. اللهم وفقنا لطاعتك وطاعة رسولك حتى نرد عليه الحوض فنشرب شربة لانظمأ بعدها أبداً ، ولا نطرد عنه مع الذين خالفوا وغيروا وبدلوا ، اللهم أغفر لنا ذنوبنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . اللهم انصر الإسلام والمسلمين ، وأخذل الكفار والكافرين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين :

سليمان رشاد محمد

بيان وإيضاح

تعلن جماعة أنصار السنة المحمدية أنها حريصة كل الحرص على مظاهر التوحيد وعلى استعلان بصمات التوحيد فى كل العبادات والمعاملات .

ولكنها لا تقر أى عمل غير مشروع من شأنه أن يعكر صفو الأمن — كما تعلن براءتها من حادث الاعتداء الأخير على أحد الأضرحة وأن الشخصين اللذين تم ضبطهما ليسا من أنصار السنة المحمدية .

الرئيس العام

حيّ على الجهاد

للأستاذ : أحمد جمال العمرى
ماجستير فى الآداب ـ جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين ، ناصر الحق بالحق المبين ، وخاذل الباطل ذى القوة المتين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، أمهر القادة وأشجع المقاتلين ، نبى الرحمة وإمام المجاهدين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين . . . وبعد :

فقد شرع الله الجهاد لغايات جُلّى ، ومثل عليا ، حث عليها المسلمين المؤمنين ، ووعدهم بالتأييد والنصر المبين .

شرع الله الجهاد حماية للدين ، وردعاً المعتدين ، والضرب على أيدى الطغاة الغاصبين ، وشرعه أيضاً دفاعاً عن العقيدة والمبادىء والمثل العليا والقيم الانسانية ، وشرعه كذلك استخلاصا للحق ، وطلبا للعزة ، والحياة الحرة الكريمة ، وصونا لكرامة الانسان ، وحفاظاً على أرض المسلمين وأعراضهم وأموالهم .

لكل ذلك . . فإن حربنا اليوم جهاد فى سبيل الله بكل معانى هذه الكلمة . إنها حرب مقدسة تقاوم الطغاة البغاة ، وتصدهم عن غاياتهم ، حرب مشروعة لتطهير أرض الوطن ، واسترداد شرفه ، واسترجاع حقه ، ومحو العار الذى لحقه ، حرب من أجل نصرة المبادىء الانسانية ، والقيم الدينية والأخلاقية .

شرع الله الجهاد ، ودعا إليه دعوة مطلقة ، وأمرنا به بقوله « وجاهدوا » وجاء هذا الأمر فى آيات عدة ، من ذلك قوله جل شأنه :

— (وجاهدوا فى الله حق جهاده)[1] .

---

(١) الحج آية ٧٨

— (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله)[1].

— (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله)[2].

كما أمرنا بقتال الأعداء دفاعاً عن سبيله :

— (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم)[3].

وأمرنا كذلك بأن نخرجهم من أرضنا التى احتلوها ، وديارنا التى اغتصبوها :

— (واقتلوهم حيث ثقفتوهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم)[4].

وقرر أن الجهاد فى سبيله أهم سمة من سمات المؤمنين :

— (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا)[5].

— (إنما المؤمنون ، الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم)[6].

ووعد المجاهدين فى سبيله بالنصر المبين ، وهداية السبيل :

— (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)[7].

• وفضل . . عز شأنه ـ المجاهدين على القاعدين المتعبدين المتزهدين ، وجعلهم أعلى مكانة وأعظم درجة عنده :

— (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما[8] درجات منه ومغفرة ورحمة)

— (وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة)[9]

---

(١) المائدة آية ٣٥ (٢) التوبة آية ٤١ (٣) البقرة آية ١٩٠
(٤) البقرة ١٩١ (٥) الأنفال آية ٧٤ (٦) الحجرات آية ١٥
(٧) العنكبوت آية ٦٩ (٨) النساء آية ٩٥ (٩) النساء آية ٩٥

— (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله)[1] .

وجعل الصبر على الجهاد وتحمل تبعاته امتحاناً يمتحن به عباده المؤمنين ، ليعرف المجاهدين من غيرهم :

— (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)[2] .

— (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة)[3] .

— (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)[4]

وتجلت حكمته - جل جلاله - فى تنظيم المواقف الحربية التى يخوضها المجاهدون ، تنظيما دقيقاً ، وفقا للظروف ، حتى يتحقق لهم النصر ، وتكون كلمة الله هى العليا :

• فهو يأمر المجاهدين بأن يكونوا صفا واحدا أمام أعدائهم :

— (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)[5] .

كما يأمرهم بالثبات ورباطة الجأش فى مواجهة الأعداء ، وأن يكونوا أنداداً لهم ، ذوى بأس شديد ، صابرين على البأساء والضراء .. فمن تخاذل أو تقاعس فمأواه جهنم وبئس القرار :

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره - إلا متحرفاً لقتال أو متحيزا إلى فئة - فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير)[6] .

---

(١) التوبة آية ٢٠ (٢) محمد آية ٣١ (٣) التوبة ١٦
(٤) آل عمران آية ١٤٢ (٥) الصف آية ٤
(٦) الأنفال آية ١٥ ، ١٦ ويوليهم دبره أى يحاول الهرب .

ويوضح لهم - عز شأنه - أن المتخاذلين الجبناء لن يطول أجلهم، كما أن المجاهدين الشرفاء لن يقصر عمرهم ، فلكل أجل كتاب عنده :

(قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)[1] .

ويعد الله المجاهدين الصابرين بأنه سيكون إلى جانبهم ، يؤازرهم ويدعم صفوفهم بملائكته إذا أمتحنوا أو استغاثوا :

— (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان)[2] .

— (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين)[3]

ويعقد الله العقد ، ويقيم العهد بينه وبين المجاهدين المؤمنين الصابرين ، فيشترى منهم أنفسهم بثمن عظيم ، نظير ماقدموا وأخلصوا . .

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم)[4] .

هذا عن مشروعية الجهاد ومايتصل به فى القرآن الكريم .

علامة المنافق .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث. إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان »

رواه البخارى

(١) آل عمران آية ١٥٤ (٢) الأنفال آية ١٢
(٣) الأنفال آية ٩ (٤) التوبة آية ١١١

ثمرة السلف يقتطفها الخلف

بقلم فضيلة الشيخ : محمد مخدوم
مدرس بالمسجد الحرام

فى عام ١٣٤٧هـ خرجت من وطنى بعد أن دخلته الشيوعية وفعلت ما فعلت مهاجراً إلى الحرمين الشريفين وقد يسر الله سبحانه وتعالى زاد السفر فشاهدت من أهوال الدنيا ما شاهدت ، ومما رأيت تفرق كلمة رجال الدين فى جميع المواطن التى وطأتها قدماى ، وكل طائفة تصف الأخرى بأنها ليست على شىء ـ وقد كان كل هذا فى وطنى أيضا ـ وعندما وصلت إلى أفغانستان مكثت مدة فى قندهار فوجدت فيها حالة العلماء أشد مما عندنا حتى أنهم كانوا يلصقون الإعلانات على الجدران بشتم ولعن بعضهم بعضاً . ثم توجهت إلى كراتشى فوصلتها وقت صلاة المغرب ، فدخلت أحد المساجد ثم رأيت رجلا فى زى العلماء يدخل المسجد ، ثم رأيت الناس يهينونه أشد الإهانة ويطردونه من المسجد ، فسألت أحدهم فقال : إنه أحد علماء الديوبنديين أما أهل المسجد فإنهم بلولويين وكلا الطائفتين من الأحناف ويكفر بعضهم بعضا .

ولما أكرمنى الله واستقر بى المقام فى مكة المكرمة سمعت كلمات من المهاجرين يطلقها بعضهم على البعض لا يليق ذكرها بمقام هذه المجلة .

وعندما ذهبت إلى المدينة المنورة دخلت المسجد لأستمع إلى درس أحد العلماء وكان من البلولويين فأشار فى حديثه إلى الديوبنديين بقوله إنهم يجوزون « كذب البارى وهذا كفر صريح » وعندما رجعت إلى مكة اشتغلت بالتجارة وتركت حلقات الدرس فترة لاختلاف العلماء ، ثم عدت إلى مواصلة الدروس ولكن عند بعض علماء نجد ، وكان علماؤنا يمنعوننا من ذلك ، وكنت فى أحد الأيام أستمع إلى درس الشيخ أبى السمح ، فقال حكاية عن شيخ الإسلام ابن تيمية : إن علامة المبتدعين تكفير بعضهم البعض ، فصدقت هذا القول فوراً لما شاهدت فى بلاد السلفيين ، فكلهم جامدون مقلدون لم يفهموا كلمة التوحيد ولا يفرقون بينها وبين الشرك .

وفى موسم الحج تجمع عدد كبير من الناس يستمعون إلى عالم مصرى عند المحراب

الحنفى يتكلم فى تفسير سورة الفاتحة وكان معى أربعة أشخاص من زملائى خرجنا لزيارة موسى جاد الله ، فوجدناه جالساً يستمع لدرس ذلك العالم ، وبعد إنتهاء الدرس ، قال موسى : إن هذا الشخص لابد وأن يكون من تلاميذ محمد عبده أو رشيد رضا فكلامه مثل كلامهما ، وقد كان من أساتذتى فواظبت أنا وزملائى على دروس ذلك العالم عشرة أيام ، وكان زملائى أفهم منى للغة العربية ، وكان فيما بيننا يعيش ساعاتى ، وهو من أتباع كوثرى الجركسى ـ فقال : إن كلامه يخالف مذهب إمامنا الأعظم ، وهو على هذا الرأى حتى الآن .

وبعد الحج سافرت إلى الصين مدرساً بالمدارس المتوسطة والكليات ، ومكثت هناك أربع سنوات ، ثم عدت إلى مكة المكرمة فوجدت ذلك العالم المصرى جالساً على كرسى أمام المسجد ، فقالوا : هذا رئيس أنصار السنة المحمدية ويدعى الشيخ محمد حامد الفقى ـ رحمه الله ـ وبعد انتهاء الدرس إزدحم الناس على الشيخ فلم أتمكن من التعرف عليه كثيراً ، فأعطيته هدية صغيرة ، وهى عبارة عن عطر مسك فى صرة غزال من الصين ولم أتمكن بعد ذلك من مقابلته حتى انتهى موسم الحج . وفى العام التالى جلس للدرس ثم قال : فى العام الماضى أعطانى رجلا مسكا فهل هذا الرجل موجود بينكم ؟ فقمت وعرفته بنفسى فقام وعانقنى ، ولقد كنت من أحسن المواظبين على صحبته فى كل عام ولقد حججنا سوياً ماشين على الأقدام ـ رحمه الله ـ ومرة أعطانى ثلاثمائة ريال وقال لى : إذهب إلى مصر وهنالك نصاحبكم ، فأقمت عنده ستة أشهر وتشرفت بصحبته ، لاسيما عندما كنت معه عند تصحيحه مختصر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية بالاشتراك مع شيخ الأزهر فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم (رحمه الله) .

وبعد انتقال الشيخ إلى رحمته تعالى حرمنا فترة من دروسه ثم من مجلة الهدى النبوى . ولكن ولله الحمد اقتطفنا ثمرة السلف عن الخلف حيث حضر إلينا الشيخ رشاد الشافعى بمكة ولقد واظبت على محاضراته فى المسجد الحرام ولقد أكرمنا الله فوجدنا ما افتقدناه منذ زمن ولاسيما فى المجلة الجديدة (مجلة التوحيد) وأشكر القائمين عليها وأدعو لهم بالتوفيق والسداد ، وجزاكم الله هنا خير الجزاء .

معركتنا والتفكير اللاعقلى

بقلم : فضيلة الأستاذ نوح الغزالى
ماجستير فى الدعوة الإسلامية
ماجستير فى الدعوة والإرشاد
واعظ عام بالقاهرة

المدرسة الصليبية جادة ونشطة هذه الأيام . رائحة غادية . على قدم وساق تخاف أن يفلت الزمام من يدها أو يتحول التيار إلى غير ماتريده أو يدير الدفة غير ربانها . وهى مدرسة — والحق يقال — مخلصة كل الإخلاص فى خدمة أهدافها . وهى — كذلك — مشكورة من أساتذتها على هـذا الإخلاص الذى لا تنتظر عليه أجر . فقد انتهت عن المرحلة « المادية » التى كانت لا تقنع فيها بغير الأجر الجزيل ! ! وأراحت أولئك الأساتذة فهم يتفرجون قريرو العين بما يفعل تلامذتهم الذين أحسنوا تربيتهم دون أن يتهم — أى الأساتذة — بالتعصب الصليبى والدخول فيما لا يعنيهم !

ونستطيع أن نتبين مدى إخلاص هذه المدرسة للاستعمار الصليبى الذى لم يرحل عن أى بلد إسـلامى حتى اعتمد عليها واطمأن إليها فى تغريب المسلمين وإبعادهم عن مفاهيم الإسلام . وفلسفة الحياة لهم فى كل جوانبها فلسفة عقلانية ، ترضى فضول العقل وتريح الذهن حتى لا يتورط فى إستلهام الدين ! تعرف هذا إذا قارنتهم بأصحاب المدرسة الإسلامية وجمودهم وبرود أعصابهم عندما تثار — وما أكثر ماتثار — رغم الفارق الهائل — وربما اللانهائى — بين الأجيرين وبين الأجرين : أجير يخدم الفكر الغربى . وآخر يخدم الفكر الإسلامى . وأجر يوفيه عملاء الاستعمار الصليبى والغزو الفكرى . وآخر يوفيه الله سبحانه بغير حساب ! !

فى عز الحرب ووسط قعقعة السلاح وأحدنا لايتصور أن تقع عينه أو تسمع أذنه أو يفكر أو يتخيل إلا فى المعركة وعن الحرب أو بلاغ حربى أو بيان عسكرى ، وإذا بنا نقرأ خبر القتال فى ركن من صحيفة وكأنما لصق بتكلف ، إذ ليست له علاقة بما حوله

عن تعيين المرأة قاضية والمشروع فى طريقه إلى مجلس الدولة ! !

ماهذا ؟ الآن ! أهذا وقته ؟ أهذا التوقيت مقصود ؟ أم هو مجرد مصادفة . أم هو تخطيط جاء وقته ! وأمسكت القلم وهممت أن أكتب إلى أى جهة . فليست هناك جهة تبكى هذا الإسلام المسكين ، فنرسل إليها بدموعنا غزيرة. أكتب عن الصليبية الماكرة والفاجرة فى آن . بعيداً عن البحوث الفقهية فصاحب المشروع لايهمه إلا أن المرأة فى الغرب تعينت قاضية فلنلحق بهم حتى لانتهم بالتأخر ! أو لم تعين قاضية هناك فلنسبقهم حتى يرضوا عنا ولا يعيرونا ! . بيد أنى قلت لنفسى على رسلك . ليس الآن وقتها . علمونا فى الأزهر « أن لكل مقام مقال » والمقام الآن للمدفع فليكن المقال للجهاد . الصهيونية على مدى كيلو مترات من عاصمة العالم الإسلامى ! والوحدة العربية باسم الله — لا باسم عدنان ولا قحطان — تحسد عليها . « والله أكبر » تزلزل الأرض تحت أقدام الصليبية والصهيونية المسخرة . . . ولعلها زلة مستشار ! مستشار لم يتعلم فى مدارس الغرب — هناك أو هنا — غير القوانين الرومانية والفرنسية ولم يتوجه لغير القبلة الغربية . . ربما ! ! أرأيت كيف يتساهل — أو كيف يهمل — أصحاب المدرسة الإسلامية عندنا ؟ ! .

سمع صاحب الأهرام — بين ماسمع — أساطير وأوهام من « التفكير اللاعقلى » من جنودنا العائدين . . سمع هؤلاء المكبرين الله المستعينين بقوته وقد اقتحموا معابراً وخطوطا كادت تيئسهم من اقتحامها ، كتابات غير المأجورين من دعاة التغريب فى هذا البلد الكريم ! سمع بهذا الذى لبس حزام الديناميت وكبر ورمى بنفسه أمام دبابات العدو « العقلانى » سمع أولئكم الضباط والجنود الذين بادروا قبل أن يحدثوه حتى يكونوا عند حسن ظنه ! بادروا بأنهم ما كانوا يصدقون هذه الأمور ولا يعترفون بها فهم من مدرسته . . فلا يخاف ! فإذا بهم يرون العجب العجاب ! ! فأسرع الأستاذ الدكتور يعصر ذهنه ويشحذ عقله ويفرغ — على صفحة الجريدة — كل ماشحنته به

الصليبية من فكرها المادي . وليقول لها لا تخافى لا تراعى . . كلية الآداب بخير فلا تزال سادنة الفكر الغربى وحارسه الأمين رغم هلال عميدنا الأكبر ! ! وهو لا يريد منها جزاء ولا شكورا . وإنما يفعل ذلك لوجه البحث النزيه والفعل الحر المحايد لا أكثر ولا أقل ! أرأيت إخلاص أصحاب المدرسة التغريبية أو الصليبية . . وإلى أى حد . وذلك كله دون أجر ؟

أوجز لك أفكاره التى حرص على إثارتها الآن فى صحيفة الأهرام حتى ننتفع بفكر أساتذتنا الكبار الذين تخطوا — بفضل ماعلمتهم الصلبنة — عقبات اللاعقلانية فما عادوا يؤمنون بغير مايسمعونه بآذانهم أو يبصرونه بأعينهم أو يأكلونه ويشربونه فى بطونهم وبأفواههم أو يمسكونه بأيديهم أو يضربونه بأرجلهم أو يشمونه بأنوفهم إن كانت لهم أنوف ! ولا تسلنى كيف يؤمنون بالكهرباء والأثير والجاذبية والجراثيم والميكروبات وهم لم يروها أو يحسوها فذلك شىء قاله الغرب وآمن به فما ينبغى أن نستريب فيه أو نحاول التشكك فى الإيمان به ! ! . . .

هذه الأفكار :

١ — الدين يؤخذ للحاجة ويقدر بقدرها . أى أنه عنصر اجتماعى يخدر الجماهير ويجذب العامة فعند مانحتاجه نثيره وعند مانستغنى عنه نستبعده . كنا فى حاجة إليه بعد هزيمة ٦٧ لوقع الهزيمة على الناس الجهلة وإن كنا لا نغفر للناس هذا الدجل لكن بعد نصر أكتوبر لا نفهمه إذا تسرب إلى الناس ولا نغفر لهم تصورهم أن النصر كان بقوة خارقة أو أنه تعدى السلاح والجندى « أستطيع أن أفهم وإن لم أكن أستطيع أن أغتفر انتشار ألوان من التفكير اللاعقلى بيننا بعد يونيه ١٩٦٧ . . . ومع ذلك فإنى لا أستطيع أن أغتفر انتشار هذا اللون من التفكير حتى فى ظروف الهزيمة » . ثم يبين لك مدى الأضرار التى تنجم عن هذا الاعتقاد من أبعاد القوى المادية والذهنية .

٢ — حاول التفكير الأسطورى أن يجعل سبب هزيمة ٦٧ بعدنا عن التقوى ولا يمكن له أن يغتفر هذا التعليل لأصحابه . وعلى منطق المغالطة أو السفسطة التى نعلمها

حين مدارسهم يثير فيها هجيا للدين » أنه ـ أى هذا السبب ـ يعمى عيون الناس عن العوامل الأساسية التى كان لابد أن يفهموا أنها شاركت كلها فى صنع هذه الهزيمة . . هذا التعليل يمكن أن يكون حجة عليهم لا لهم . لأننا إذا كنا قد ابتعدنا عن طريق فإن عدونا كان طوال تاريخه أشد منا ابتعادا عنه . فلماذا إذن يكتب النصر لعدو كهذا إذا كان مقياس النصر أو الهزيمة هو التقوى ؟ !

٣ — لا يصح أن نسمح للدين بالتسرب إلى العقول إذا لم نكن فى حاجة إليه . هذا هو الفكر السائد فى الغرب. لكن الأستاذ المخلص لمدرسته يزيد على هذا بأنه الدين لا ينبغى له أبدا أن يتسرب إلى العقول فى الهزيمة أو فى النصر على أنه إذا كان انتشار التفكير اللاعقلى أمراً مفهوماً بالرغم من أنه لا يغتفر فى ظروف الهزيمة فإن الأمر الذى لا يمكن فهمه ولا اغتفار . هو أن تظهر ألوان جديدة من هذا التفكير بعد أكتوبر . ومع ذلك فقد عادت التعليلات اللاعقلية تطل برأسها من جديد وكل مايثير الاشفاق فى هذه التعليلات هو أنها تهيب بقوى غير منظوره قيل إنها حاربت معنا » ويعتبر أن تصديقها كفر بدور السلاح وشجاعة الجندى !

٤ — يفسر الإيمان تفسيراً عجيباً وإن كان مريحاً للمسلم العصرى الذى يرى فى بيان مالا يتفق مع مبادىء دينه فليس الإيمان كما تعلمناه ولكن « تلك الرغبة الجارفة فى تحرير قطعة عزيزة من أرض الوطن وفى تبديد خرافة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر والجيوش العربية التى تفر من أول طلقه وفى مسح عار ١٩٦٧ والأهم من ذلك كله الإيمان بأن هناك قضية عادلة تستحق أن يضحى المرء بحياته من أجلها » .

٥ — يبين الخطر الفادح فى اعتمادنا على الدين فى أننا فى وهم الرجل وتساوى إسرائيل إذ أنها تعتمد فى وجودها على الأسطورة الدينية وإن كانت تتصرف فى أهدافها الجزئية بعقلانية حرة أما نحن فقد ارتضينا لهدفنا العام أن يكون عقلانيا فينبغى أن تتمشى أهدافنا الجزئية عقلانية حتى يلتقى الطرفان وحتى نرضى العالم العقلانى العلمانى الذى سوف يرضى عنا كثيراً يوم أن يكتشف قيمة الأسطورة التى تقوم عليها اسرائيل ويكتشف من نفس الوقت مدى اشمئزازنا وكراهتنا للفكر اللاعقلانى ومدى واقعيتنا .

(يتبع)

معركتنا ومفهوم الايمان

بقلم فضيلة الأستاذ : ابراهيم الزرقه
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

مما لاشك فيه أن الإيمان ضرورى ضرورة السلاح فى كل معركة ساخنة أو باردة تخوضها الأمم لتخرج منها بالنصر . أو تموت دونه فتعذر .

ذلك أن الإنسان - برغم أبرع الآلات . وأروع المعدات ، وأحكم الوسائل - لايزال حجر الزاوية فى الحرب . ولايزال عصبها الحى . والقطب الذى تدور رحاها عليه.

لهذا يجب إعداده الإعداد الكافى روحياً ومادياً . إذ لا يكفى السلاح وحده مهما كثر وجاد لأن السلاح قد يصبح جديداً لا بأس فيه . مالم يحمله الرجل الذكى القلب الحى الأنف المغبأ بالإيمان . وهذا مبدأ اهتدت إليه الفطرة . وصدقته التجارب والأحداث .

يقول الشاعر البدوى :

فلا تغلبن بالسيف كل غلاية ورويدك أن الكف لا السيف تضرب

ويقول المتنبى الحكيم :

إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع

ولكن ماهو هذا الإيمان . .

إن هذا الإيمان يختلف فى أمة عنه فى أمة أخرى باختلاف المعتقدات التى تدين بها كل أمة . والأفكار التى تعبأ بها .

فقد تحارب الأمم تحت راية الوطنية أو القومية وقد تحارب فى ظل فكرة اجتماعية تدين بها وتحاول أن تفرضها . وقد تغريها القوة . فتحارب فى سبيل التسلط والغلب ، والبغى فى الأرض بغير الحق .

أما نحن - المسلمين - فلم نفهم الإيمان إلا بأنه الإيمان بالله وولايته للمؤمنين وصدق وعده لهم بالنصر والسيادة أن عاشوا أو الجنة أن اختارهم لجواره واتخذ منهم شهداء .

تحت هذا الشعار يقاتل المسلمون . وفى ضوئه يسيرون إلى هدفهم لا ينكصون ولا يترددون .

ولقد أثبتت حرب العاشر من رمضان - كما أحب أن أسميها - صحة هـــذا المبدأ وصدقه فقد انطلق جنودنا إلى المعركة وقلوبهم موصولة بالله وعيونهم مشدودة إلى الجنة. صلوا قبل المعركة وحملوا كتاب الله وهم يقتحمونها وافتتحوها بتكبير الله الذى أشعرهم بأن الله أكبر من العدو، وسلاحه . وأكبر من الشيطان الذى يمده ويزين له أعماله. وكان لهذا أثره فذلل الممر المائى - وانهار الحصن الواقى ومشى الإيمان مع السلاح يدعم كل منهما صاحبه.

ويظهر أن هذا العمل المجيد . أحرج كثيراً من الصدور التى لا يروق لها أن يصبح الإسلام قوة إيجابية تأخذ دورها فى المعركة.

فكتب بعض الأساتذة الموجهين يستنكر هـذا المعنى للايمان ويدعى أنه تفكير لاعقلى. وعمل رجعى وتفسير يتعارض مع منطق العصر. وحركة التاريخ. وراح يتخبط فى أسباب النصر ويتعسف فى تفسير الإيمان محتجا بإسرائيل. زاعما أنها تحارب بغير عقيدة وبغير إيمان وبغير مبدأ تستمد عناصره من وراء الغيب. ولست أدرى كيف كبا تلك الكبوة وغفل عما يعلمه العام - والخاص من أن إسرائيل تدعى أنها دولة دينية تطوى جوانحها على وعود تستلهمها من وراء الغيب وهى تتبجح بذلك برغم الاتهامات التى تنصب عليها من كل جانب.

وتعيرها بالرجعية والعنصرية ومعاكسة حركة التاريخ.

تجاهلت ذلك كله لما تعلمه من فعالية هـذه الفكرة وضرورتها للكفاح. فإن استمسك المسلمون بدينهم الحق وقرعوا عقيدة اليهود المهتزة بعقيدتهم الراسخة وحاربوا فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان. وحققوا نصراً هو إلى الخيال أقرب منه إلى الحقيقة.

حين يحدث ذلك تحرج بعض الصدور المسلمة وتحاول إلقاء الماء البارد على تلك الشرارة التى اندلعت فأضاءت وأدفأت.

وأحب أن أسأل هذا الكاتب المتعجل بعض الأسئلة.

١ — هذا الجندى - عاملا كان أو فلاحاً - الذى ألقى بنفسه فى فم الدبابة هاتفاً بكل ذرة فيه (الله أكبر) ما الذى حمله على ذلك.

أليس هو الإيمان بالله الذى يجمع الإيمان بالوطن والشرف والعزة والجنة .

٢ — هذا الطيار الشجاع الذى هبط بمظلته فلما قدم إليه الماء والطعام اعتذر قائلا : إنى صائم ما الذى أنطقه بذلك ، أليس هو الإيمان بالله والسعى إلى رضاه .

٣ — هؤلاء الجنود الذين صلوا قبل المعركة وخلوا بربهم لحظه كأنما كانوا يعدونه بالطاعة ويعدهم بحسن المنقلب أليس ذلك من صميم الإيمان بالله .

٤ — هذه البلاغات الحربية التى كانت تبدأ باسم الله فتهز المشاعر وتشبع الطمأنينه والرضى . أليس ذلك دليلا على أن قادتنا الأبطال مؤمنون بالله يذكرونه ويعتمدون عليه فى أحرج اللحظات . إن الجندى المسلم لا يقتنع بشىء اقتناعه بدينه فهو لا يرغب فى حجر ينقش عليه اسمه . أو باقة من زهر تلقى على قبره . . الخ . وإنما يستشرف للشهادة التى يدلف منها إلى جنة عالية قطوفها دانية . علم ذلك من علم وجهله من جهل .

بقى أن يذكر الأستاذ الكاتب بأن الإيمان الذى نفهمه يطالب قبل كل معركة بالتخطيط لها والاعداد من أجلها والاستعانة بالسلاح والدهاء والكتمان والتوريه .

فالقرآن يقول . (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ... الآية) .

والرسول عليه الصلاة والسلام . كان يستعير السلاح إذا لم يجد القدرة على شرائه .

وكان يستعين بكل خبير فى الحرب عليم بفنونها . وكان يكتم سر تحركاته ويروى ويقول: الحرب خدعة . هذا شىء والشىء الثانى أن الإيمان الذى نفهمه يعمد أول ما يعمد إلى الدفاع عن الوطن والأرض والكرامة لأن الوطن هو وعاء العقيدة الذى يحتويها ويحميها فإن ضاع ضاعت بضياعه .

والقرآن الكريم يلفت أنظارنا إلى ذلك ويجعل دفاعنا عن الوطن دفاعاً عن العقيدة فيقول محذرا من غلبة الأعداء علينا (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) سورة الكهف . ويقول فى الدفاع عن الشرف والثأر للكرامة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) سورة المنافقون .

إلا فليتق الله هؤلاء الكتاب وليفطنوا إلى دقة تلك الأيام وحساسيتها وليقدموا الخير لأمتهم إن قدروا ، على ذلك وإلا فليتصدقوا عليها بصمتهم . « ورحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم » .